تمهيد

يتمتع النظام العمراني بروح توجهه وتتحكم فيه، هذه الروح إما أن تكون نشأت من تلقاء نفسها كما هو الحال في التجمعات البشرية الأولى وإما أن تكون تابعة لفكر أو تيار معين كما هو الحال في المدن التي ظهرت بعد الثورة الصناعية، وتكيف النظام العمراني للمجتمعات البشرية في بداية الأمر مع الظروف الطبيعية المحيطة به، ثم بدأ بعد ذلك العمران في التشكل والتكيف على حسب البيئة الاجتماعية السائدة في المدينة وأخيرا أصبح النظام العمراني يتبع نظريات وأفكارا وتيارات عمرانية حديثة والتي نتجت من أفكار الفلاسفة والأدباء الذين أرادوا عمرانا يمثل الوقت والعصر وليس عمرانا عديم الصلة بماضيه وحضارته القديمة، لهذا اختلف العمران وتعدد من جهة إلى أخرى ومن قطر إلى آخر واختلفت معه أيضا الثقافات والحضارات والظروف الطبيعية المحيطة بالإنسان وأدى هذا الاختلاف إلى تنوع واختلاف المدن وتنوع وظائفها وخدماتها وأنشطتها الرئيسة، وفي خضم هذا الصراع العمراني بين الفكر والنظرية تميز العمران الإسلامي والمدينة الإسلامية بنمط خاص بها والذي لم يتبع فكرا أو تيارا أو اتجاها بل اتبع الشريعة الإسلامية وثقافة المجتمع الإسلامي، هذا التميز أنتج للعالم أعظم المدن التاريخية والتي لم يعرف لها مثيل على الكرة الأرضية مثل مدن بغداد، دمشق، القاهرة المعز، الزيتونة ...الخ من المدن الإسلامية العريقة.

2-1-1 تعريف مفهوم العمران:

إن كلمة العمران من الناحية اللغوية مشتقة من الكلمة اللاتينية هي (URBS) والتي تعني "المدينة"، حيث يهدف العمران إلى إعطاء نظام معين للمدينة، كما تعبر كلمة "العمران" عن ظاهرة التوسع المستمر الذي تشهده المدينة بشكل متواصل مع مرور الزمن ويمكن أن يختلف مفهوم الكلمة من حقبة إلى أخرى، والعمران أيضا هو مقاربة استشرافية لواقع المدينة ويحاول فهم طبيعتها المعقدة بغية التحكم في نموها عن طريق أدوات وآليات معينة، ومن ضمن تعريفات العمران المختلفة نذكر منها، **تعريف** "**F.CHOAY**" "العمران في أصوله هو تلك الممارسة الاجتماعية الخاصة والتي حاولت بعد الثورة الصناعية بناء تنظيم مجالي مبني على أساس علمي ومتكيف مع المجتمع التكنولوجي والاقتصادي الجديد". أما "**G.B FORD**" فقد عرف العمران بـــ "علم وفن لتصحيح الأخطاء المجالية التي ارتكبت في الماضي بواسطة تهيئات مناسبة للمجال كما أن مجال تدخل هذا الاختصاص يعني جميع المستعملين والمتدخلين في آن واحد".

كما عرف "**Le robert**" **العمران** بـــ " دراسة الطرق التي تسمح لتكييف السكن وخاصة السكن الحضري مع متطلبات الإنسان وهو أيضا مجموعة التقنيات الهادفة إلى تطبيق هذه الطرق"، وعرف أيضا "**Alfred Aghache**" العمران بـــ " فن يلعب الخيال والتشكيل والتنظيم دورٌ مهم في تطبيقاته والعمران يجب أن يترجم إلى اقتراحات الأحجام والمنظور وملاحظات المهندس والاقتصادي وعالم الاجتماع ومختص الوقاية وهو عبارة عن فلسفة اجتماعية لكون المدينة تبحث عن تحقيق إطار ملائم لإيجاد مجموعة محلية منظمة، وكل ما أبدعه علم التنظيم والرفاهية من أجل توفير مستوى جيد من الرفاهية للإنسان[28].

2-1-2 نظرة تاريخية على العمران:

يبدأ تاريخ العمران من منطقة الشرق الأوسط، حيث كان الموطن الأصلي لظهور ولنمو المدن الأولى، وعلى سبيل المثال كانت مدينة "بابل" العراقية والتي عرفت بحدائقها المعلقة والتي شكلت نوعا مميزا في تلك الحقبة من العمران والعمارة حيث كان عدد سكانها 80.000 ساكنا في الفترة ما بين(605 ق.م و 562 ق.م) ثم تطور العمران خلال الحقب المختلفة طبقا للوظيفة والثقافة ومتطلبات الحضارات المختلفة حتى بداية القرن

التاسع عشر وظهور الثورة الصناعية، هذه الأخيرة التي أدت إلى ظهور المدن الصناعية والمدن الحديثة والتي نتج عنها مشاكل كثيرة ومتنوعة أدت إلى تنوع أنماط العمران.

وقد قسم العلماء مراحل ظهور وتطور العمران إلى حقب زمنية وتاريخية من اجل قراءة جيدة لتطور العمران منذ فجر التاريخ وصولا إلى وقتنا الحالي:

2-1- 2- 1 العمران القديم:

كانت أقدم المدن في التاريخ تحتوي على مساكن غير منتظمة الشكل مصنوعة من مواد طينية ومبنية من أحجار نذكر منها "أريحا" بفلسطين (6500 ق م)، تل حالف (4000 ق م) و "قبرص" (3500 ق م) هذه المدن كاملة كانت مبنية من الحجارة وذات شكل هندسي منتظم، وفي حضارة "بابل" سمحت الاكتشافات الأثرية لمدن تلك الحضارة القديمة باكتشاف التنظيم الاجتماعي الذي نظم العمران في تلك المملكة حيث تميز عمران المدينة البابلية بالشكل الهندسي المنتظم وبالموقع غير المركزي للقصور التي ترتبط بالمدينة بواسطة شوارع ومجار مائية وشوارع رئيسة تختلف باختلاف الأحياء السكنية.

أما عند المصريين القدامى، بحيث تميزت عمارة المصريين القدامى بالارتفاعات الشاهقة والعظمة وإبراز الجانب الديني في الحجم والشكل العامين لعمران المدينة المصرية القديمة وذلك بسبب إرتكاز العمارة المصرية القديمة في الأساس على الجانب الديني الذي يتمثل فيه تعظيم وقداسة قصور الحكام,و كانت الأماكن الدينية والقبور تتوسط المدن، وتكون مبنية بالحجارة وذات ارتفاعات شاهقة وذلك كمركز للديمومة والخلود والهيمنة المطلقة على المجتمع أما البنايات الأخرى فتكون مبنية بالطين وذات أشكال غير هندسية.

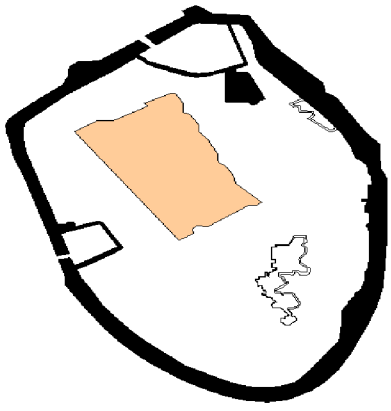

شكل رقم (II-01) مدينة (أور) ذات الشكل البيضوي.

المصدر: Atlas d'architecture Materne édition stock. Paris 1978 ضمن كتاب العمران والمدينة د. خلف الله، ص14 ، بتصرف من الباحث 2011.

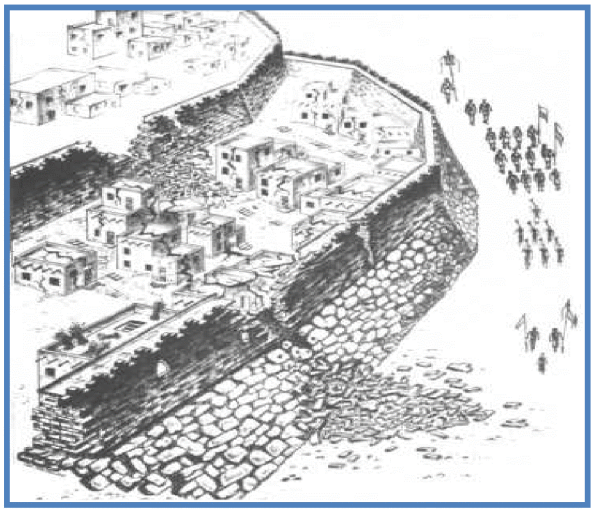

صورة رقم (II-01) منظر عام لمدينة أريحا القديمة
المصدر: Encarta 2010 .

صورة رقم (II-02) مدخل لمدينة أريحا القديمة
المصدر Google Erath .

2-1- 2-2 العمران اليوناني.

يتميز العمران اليوناني للمدن بالمخطط الشطرنجي بالإضافة إلى أن اليونانيين حاولوا الاستفادة من العناصر المناخية في العمران (الرياح وأشعة الشمس) كما ادخل اليونانيون الوظيفية على العمران خلافا لما كان هو معروف عند المصريين القدامى وهو وحدة الوظيفة (الوظيفة الدينية) حيث تم تقسيم المدينة على حسب المهن والنشاطات التي يقوم بها الإنسان بالإضافة إلى دراسة وتحديد موقع المدينة بدقة بحيث كانت المدن اليونانية تتمركز في البداية في التلال والهضاب لغرض الاحتماء ثم نمت وتطورت باتجاه السهول ونذكر على سبيل المثال المدينة العليا الاكربول (ACROPOLIS)، حيث تميزت هذه المدينة بتمركز للمعابد والبنايات الرسمية المؤدية إلى شوارع رئيسة تمكن السكان من اللجوء اليها بسهولة في حالة الخطر، والمدينة السفلى (ASTRY) هذه المدينة تضم المساكن والخدمات والنشاطات التجارية، المدينتان تعملان في إطار هو " المجال الديني، مجلس الشيوخ، مجلس المواطنين ".

المجال الديني وهو مكان محدد للآلهة أما مجلس الشيوخ فهو مركز لتمثيل السكان وتواصلهم مع الحكام في قاعة "البولتريوم" (Boule) أما مجلس المواطنين فهو يتمثل في السوق والنشاطات التجارية أو ما يعرف "أقورا" (Agora)، بالإضافة إلى احتواء المدن اليونانية على مجالات ترفيهية مثل المسارح والمباني الرياضية التي كانت عاملا للتفاعل

الاجتماعي والثقافي داخل المدينة كما كان يقطن هذه المدن ما يفوق 20.000 نسمة كما هو الحال في مدينة "اثينا" و"مدين ميليت" [28].

صورة رقم (II-03) منظر عام لمدينة أثينا القديمة
المصدر: Encarta 2010 .

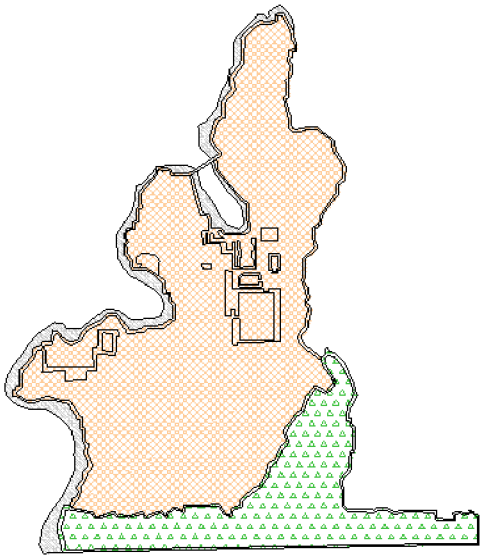

شكل رقم (II-02) مخطط مدينة ميليت
المصدر: Atlas d'architecture
ضمن العمران والمدينة د. خلف الله، ص17 وبتصرف من الباحث 2011.

2-1- 2-3 العمران الروماني والبيزنطي:

ظهر العمران الروماني مع بداية ظهور الحضارة الرومانية في إيطاليا حيث تميز هذا العمران بالتشابه مع العمران الإغريقي من حيث التنظيم والرسم العام، حيث كان يجسد الطابع الديني والقيصري للطبقة الحاكمة، وتتميز المدن الرومانية بخصائص عامة نذكرها فيما يلي:

- نظام فيزيائي متناسق في منشآته الكبرى العامة التي تديرها السلطة .
- التميز الواضح للمدينة في إقليمها عن الريف .
- تميز العمران الروماني بأنه شكل يقارب النموذج حيث كانت المدينة ذات الشكل المستطيل ترتكز على محورين متعامدين (غرب، شرق وشمال، جنوب) يسمى المحور الأول ديكامانيس وعرضه من 14 إلى 15 مترا وقد يصل إلى 30 مترا، والمحور الثاني "الكاردو" وعرضه من 07 إلى08 أمتار، ثم تتشكل الشوارع الموازية لهذين المحورين في خطة شطرنجية داخل صور المدينة، هذه الشوارع منتظمة الشكل ويكون عرضها الأدنى متران ونصف كما تبعد عن بعضها البعض مسافة تتراوح بين 60 و 70 مترا كما يتوسط

المدينة المسرح والساحة المركزية المسماة فوروم (forum) كما قام الرومانيون بإدخال إضافات على مدنهم تمثلت في ظهور شبكات النقل والمنشآت الفنية والحمامات وذلك لأغراض عسكرية والنمو السكاني الذي بلغ حدود مليون نسمة، هذا التطور ساعد الرومان في أنشاء مستعمرات بعيدة ولكنها دائما تحمل نفس السمات العمرانية والمعمارية للمدن الرومانية على سبيل المثال مدينة "تيمقاد" في الشرق الجزائري حيث بنيت تلك المدينة سنة 100 بعد الميلاد وكانت تحمل نفس مواصفات المدن الرومانية في ايطاليا[28].

صورة رقم (II-04) منظر عام لمسرح مدينة تميقاد
المصدر: الباحث 2011.

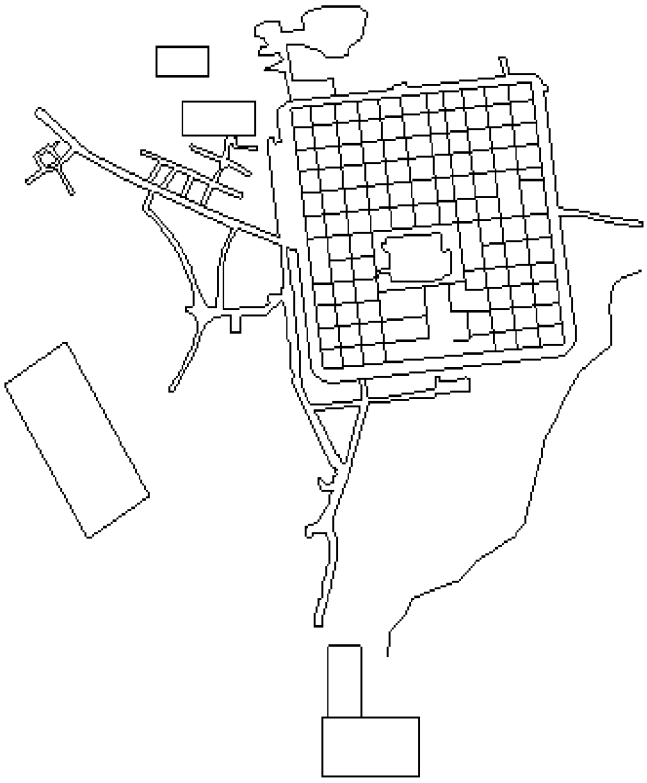

شكل رقم (II-03) مخطط مدينة تيمقاد الرومانية
المصدر: J : pelletier et ch. Delfante ‘Grande histoire de la ville ’ ضمن العمران والمدينة د. خلف الله بوجمعة، ص20
وبتصرف من الباحث 2011.

صورة رقم (II-05) مدخل مدينة تيمقاد القديمة
المصدر: الباحث 2011.

4-2-1-2 عمران القرون الوسطى:

إن الثقافة العمرانية والتطور العمراني في أوروبا خصوصا كان في ركود كبير حيث تميز العمران في أوروبا في هذا العصر بخصائص عامة نذكر منها على حسب (L.Benvolo) .

- شوارع ضيقة وغير منتظمة .
- طرقات متدرجة وساحات مرتبطة بها .
- بنايات محادية وطرقات مفتوحة على المجال العمومي .

وكان من أكثر العناصر المميزة للتركيبة العمرانية في هذه الحقبة هو عنصر الساحات العامة .

صورة رقم (II-06) مدينة ليل الفرنسية
المصدر: Encarta 2010.

2-1- 2- 4-1 الساحـــــات العامة:

تنوعت الساحات في المدن الأوروبية في القرون الوسطى مع اختلاف الوظيفة والنشاط لكل منها، و من ضمن هذه الأنواع نذكر الأتي.

- ساحة السوق وهي ساحة عبارة عن عملية توسيع محور رئيس وتقع في الطرقات التي كانت تعبر منها القوافل التجارية.
- الساحة المركزية وهي ساحة مفتوحة من كل الجوانب يغلب عليها الشكل المستطيل وتكون فاقدة لعنصر التناظر.
- الساحة بين الطرق المتوازية وهي ساحة تتضمن التواصل المباشر مع طرق العبور التي تمر عبر المدينة.
- الساحة المثلثية الشكل وهي ساحة تنتج من بقايا الانتظام في النسيج العمراني حيث تكون عبارة عن مجالات متبقية وهامشية .

ويمكننا أن نقول أن ساحة السوق هي الساحة الأكثر شهرة حيث أنها تعبر عن السلم الاجتماعي باحتوائها على نافورة أو بئر.

2-1- 2- 5 عمران عصر النهضة:

ظهرت النهضة في مجال الثقافة والإنتاج العمراني في القرنين 15 و 16 وبالتحديد بايطاليا ثم امتدت إلى دول أخرى حيث عرفت المدينة في هذه الحقبة الإبداع في جميع الميادين وفي ميدان العمران أبدع كل من (Bramanete ،Brunelleschi)، بحيث أصبحت مشاكل المدينة تدرس بطرق نظرية ومستقلة وتميزت أيضا بتغيرات شكلية مقارنة بسابقاتها، حيث أن الطرقات أصبحت أكثر اتساعا وتنظيما والساحات أصبحت أكثر انتظاما وأعيد الاعتبار للناحية الجمالية، كما كانت المدينة تبنى على أسس إيديولوجية تدخل فيها الفلسفة والثقافة مما أثر على شكلها العام وشروط وآليات التصميم، و كان هناك تصور نظري لمدينة مستقبلية مثالية تعتمد هذه المدينة على عناصر غاية في المثالية والهدف منها هو إنشاء مدينة سعيدة، ويمكننا أن نذكر في هذا الاتجاه (Giotto 1266-1337)، (Pierro Lorenziti 1285-1348)، (Ambrogiol 1290-1384)، (L.devinci 1452-1516)، حيث ساهم هؤلاء في تطوير العمران ودراسة مشاكل

المدينة في أبعادها العامة والخاصة بطريقة علمية وعلى العموم فقد كان العمران في عصر النهضة (أوروبا) يتطور على شكلين.

- النمط الباروكي (style Baroque) وتطور خاصة في روما مع نهاية القرن السادس عشر في ظل البابا كوينت (Quint) وفي القرن السابع عشر مع انجازات برنان (Bernin) .

- النمط الكلاسيكي (style classique) تطور هذا النمط خاصة في فرنسا مع إنشاء الساحات الملكية مثل ساحة "دوفين".

ويمكننا إعطاء مثال على ذلك مدينة فيتريف (Vitruve) كما تصورها برابادو والمعدة عام 1556م كما هي موضحة في شكل رقم (II-03):

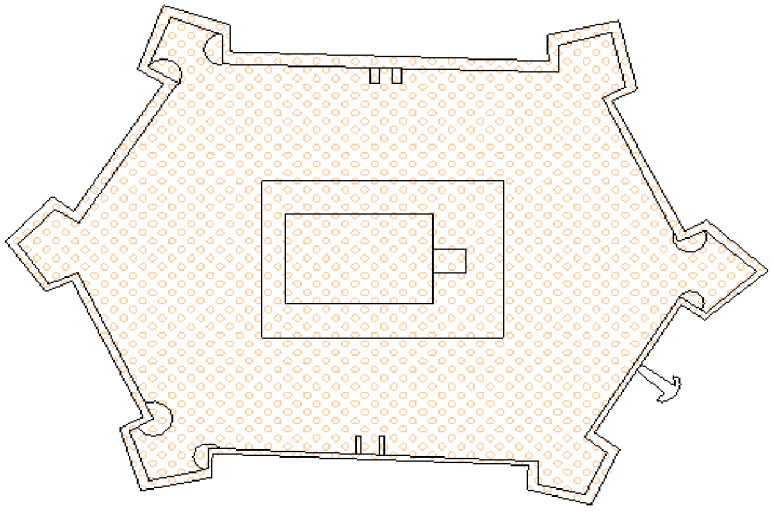

شكل رقم (II-04) مخطط مدينة فيتريف

المصدر : J : pelletier et ch. Delfante ضمن العمران والمدينة، د. خلف الله بوجمعة ص27 وبتصرف من الباحث 2011.

2-1- 2- 6 عمران ما بعد الثورة الصناعية:

في هذه الحقبة من الزمن يبدأ العمران في اتخاذ شكله ومفهومه وصولا إلى وقتنا الحالي حيث عرفت المدن بعد الثورة الصناعية توسعا مذهلا للمجالات الحضارية مما أدى إلى ظهور مشاكل معقدة لم يعرفها العمران ولا المدينة من قبل، بحيث تولدت لدى الأخصائيين في هذه الحقبة إرادة وحاجة ملحة لتحديد معايير التنظيم معدة مسبقا للتحكم في تضخم المجال العمراني.

في هذه الحقبة أيضا يمكننا أن نلاحظ إدخال مصطلح علمي على مصطلح العمران حيث أصبحت عبارة عن مجموعة من الخطوات العلمية والإجراءات التي تمكن من وصف وتحليل المدينة وتفكيكها إلى عناصر أولية بحيث يمكن فيما بعد التدخل وإعادة التركيب العمراني، وبعبارة أخرى إن المدينة لم تعد مجالا للتدخل الآني الذي لا يسبقه تصور محدد المعالم والإبعاد بل هناك نظرة استشرافية في معالجة المجال الحضري ونذكر مثال على ذلك أعمال هوسمان في باريس.

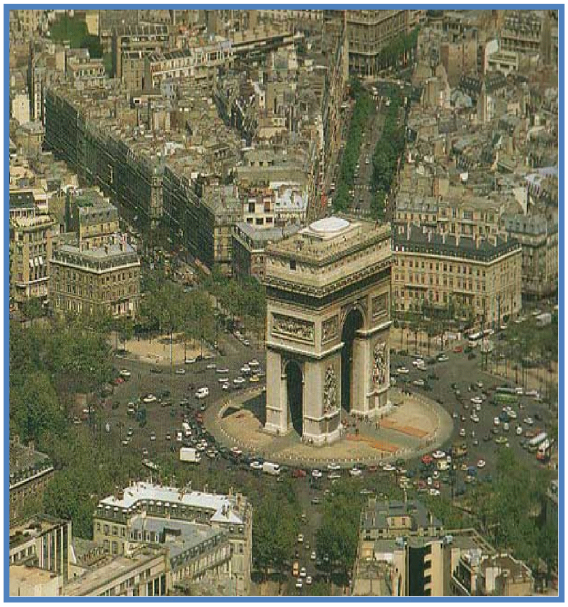

صورة رقم (II-07) قوس النصر. مدينة باريس
المصدر: Encarta 2010.

شكل رقم (II-05)مخطط أعمال هوسمان بباريس
المصدر : J : pelletier et ch. Delfante، ضمن العمران والمدينة.
د.خلف الله بوجمعة، ص 29.

وفي الأخير يمكننا أن نقول أن العمران تطور إلى أن أصبح اليوم مجالا واسعا ومتعدد الاهتمامات والأبعاد، كما أصبح يستعمل أدوات معروفة تتمثل في مخططات التعمير التي تقترح حلولا تقنية لمشكلات آنية ومستقبلية يتم التعرف عليها عن طريق المعاينة والتحليل، وتكون أدواته للوصول إلى ذلك هي منهاج الاستقراء وتحليل المعطيات الديموغرافية والاجتماعية والجغرافية والثقافية والصحية...الخ.

2-1-3 تطور الفكر العمراني:

مع تطور العمران وتعقد واقع وطبيعة المدينة ازدادت المشاكل العمرانية المطروحة وتدخلاتها وذلك مع بداية القرن العشرين وتعددت النظريات والدراسات العمرانية على حسب القناعات الشخصية والأيديولوجيات، بحيث انقسم الباحثون إلى

اتجاهات متناقضة لخصها فرنسواز شواي (F. choay) عام 1965 إلى تيار تقدمي وتيار ثقافي.

2-1-3-1-2 التيار التقدمي:

امتاز هذا التيار بقوة تصوراته وتنوع عقائده وتوسع إنجازاته وطابعه الدولي وذلك بحصوله على الاعتراف الرسمي من بعض الدول كفرنسا، بحيث اقترح مؤيده هذا التيار إعادة تنظيم المدن وفق غاية وهي تحقيق الفعالية القصوى مع استعمال التقنيات والمواد الجديدة مثل الفولاذ، الخرسانة، الزجاج...الخ، كما اعتمدوا جمالية مميزة وفق نظرة طوبوية لتنظيم نمطية المساكن والعمارات وفق صرامة شكلية مثالية، وفى هذا الإطار كتب المهندس (Tony Granier) عن تصورات هذا التيار الذي اقترح فيه إقامة بنايات وفق نموذج واحد يعتمد على مبدأ تقسيم صارم للمجال حسب الوظائف العمرانية.

حيث كانت بداية هذا التيار الفعلية سنة 1928م مع مؤسسة المؤتمر الدولي للهندسة المعمارية الحديثة (CIAM) والتي كانت تعتبر أهم حافز للممارسات العمرانية في العالم حينذاك وأيضا مع صدور ميثاق أثينا لعام 1933 الذي أعطى الأولوية للتجارب مع الوظائف العمرانية الأربعة الرئيسة وهي : " العمل، السكن، الترفيه، التنقل " .

وقد ساعدت الحرب العالمية الثانية في إيجاد الأرضية الخصبة لتجسيد هذه المبادئ عمليا وعلى نطاق واسع بسبب الدمار والطلب المتزايد على إعادة الإعمار وبسرعة.

كما تميز هذا التيار باتجاهات عدة نذكر منها : الاتجاه التكعيبي و الاتجاه الإنشائي و الاتجاه الوظيفي .

1-1-3-1-2 الاتجاه التكعيبي (cubisme): مثل ما هو الحال في ألمانيا مع جماعة "البأو هأوس" (Bauhaus)، (Walter Gropius)، (Mies vander rohe) (Hilber Seimer) هذه الأخيرة الذي كانت لها مسؤولية تجديد مركز مدينة "ديترويت" في الولايات المتحدة الأمريكية.

2-1-3-1-2 التيار الإنشائي (constructivisme): كان على رأس هذا الاتجاه كل من (le Corbosier) والبرازيلي (Lucio Costa) الذي تحصل على مسابقة مخطط برازيليا الذي نفذه مع المعماري الشهير (Oscar Nimeyer).

2-1-3-1-3 الاتجاه الوظائفي(fonctionnalisme) : كان هذا الاتجاه نتاج لمحاولات التحكم في مصادر المدن الكبرى من جهة وأحداث القطيعة مع السياسات الفاشلة اتجاه تطور النسيج العمراني بشكل عشوائي مذهل من جهة أخرى حيث اعتمد هذا الاتجاه على التقسيم المناطقي لمجال (Zoning) بحيث يقسم المجال الحضري إلى مناطق واضحة المعالم ومفصولة إلى شكل تام وحسب الوظائف العمرانية.

2-1-3-2 التيار الثقافي.

إثر مواجهة التيار التقدمي ظهر وتطور تيار آخر هذا التيار تدور افكاره حول موضوع احترام المدينة والوفاء لموروثها التقليدي وضرورة قيام المعمار على أسس من المعرفة القبلية والشاملة للمعطيات الديمغرافية والجغرافية والاجتماعية والثقافية في المدينة، بحيث أطلق على هذا التيار اسم التيار الثقافي (culturaliste) ولم يعرف هذا الاتجاه امتدادا واسعا مثل التيار التقدمي ولكنه حظي باهتمام دولي وعالمي، وكان من رواد هذا التيار (John Ruskin) و (William Morris) عاتبا على المنطق العمراني للمدن الصناعية في القرن التاسع عشر لذلك فضلوا الرجوع إلى جماليات القرون الوسطى في الطرقات والشوارع المتعرجة والمدن صغيرة الأبعاد المؤهلة لتلبية الحاجات الروحية والطبيعية للإنسان ومع نهاية القرن التاسع عشر ظهر مؤلفان يمثلان قطيعة واضحة لتطور ونضوج هذا التيار، حيث في سنة 1989م ظهر المؤلف الأول في هذا الميدان بعنوان فن تخطيط المدن (Der stadbau) للعمراني الرائد (Camille Sitte) فلكونه من الغاضبين على تهيئة مدينة "فيينا" وفق مبادئ الوالي "هوسمان" حيث قام سيتي بطرح مقترحات مضادة مبنية على دراسات مستفيضة للمدن العتيقة تؤدي إلى مخطط عمراني كتحفة فنية تعطي فيها الأولوية للشوارع والساحات التي تشكل أماكن مميزة للتفاعل الاجتماعي، حيث اتهم (le Corbosier) سيتي بإعادة بناء ديانة جديدة بالعودة إلى الماضي.

أما المؤلف الثاني فقد ظهر عام 1898م بعنوان غدا (tomorrow) للمنظر "هوارد" (howard) حيث اعتمد على فكرة إحاطة المدينة بحزام من المساحات الخضراء، بحيث تتداخل المساكن مع الحدائق ويكون عدد السكان محدد بحدود 30.000 نسمة وأطلق على هذه المدن الحدائقية.

وتميز هذا الاتجاه أيضا بوجود اتجاهين هما الاتجاه الليبرالي والاتجاه الطبيعي، الاتجاه الليبرالي ينظر للمجال بوصفه وعاء لاستقبال التجمع البشري ذو خصوصية تاريخية وثقافية ومن ابرز رواده الامريكي (Luwis Mumford) صاحب كتاب "المدن عبر التاريخ" الذي صدر عام 1965م وايضا (Patrck Geddes) صاحب كتاب "تطور المدن" الذي صدر عام 1915م .

أما الاتجاه الطبيعي فيدعو إلى مبدأ مناهضة المجال الحضري واعتماد مدينة طبيعية قائمة على حرية المجال والقياس الإنساني فبذلك تكون المدينة مزيجا من الخصائص الريفية والحضرية ومن أبرز راود هذا الاتجاه الأمريكي (F.L wright) [28].

4-1-2 أهداف التخطيط العمراني:

يهدف التخطيط العمراني إلى ضمان حق المواطن بالعيش في وسط ملائم على صعيد السكن والعمل بهدف تأمين متطلبات المجتمع، والوصول إلى مستوى رفاهية جيد داخل النسيج العمراني، حيث سطرت أهداف التخطيط العمراني وفق النقاط الآتية:

1. التزايد الديمغرافي وموجة المهاجرين الجدد والتي يعبر عنها بالحاجة إلى مساكن للعائلات الجديدة وتبديل المساكن القديمة هذه المساكن التي يجب تأمينها بالتجهيزات الجديدة.
2. التزايد الديمغرافي للسكان يؤدي إلى طلب المزيد من العمل وخاصة للطبقة الشابة مما يفرض إنشاء قطاعات عمل جديدة وإعادة تنظيم المناطق الصناعية وتطوير قطاع الخدمات.
3. التطور الاقتصادي وارتفاع المستوى الحياتي للمواطن وتحول المجتمع إلى مجتمع استهلاكي يبرز حاجة المواطن إلى تجهيزات تجارية ورياضية وترفيهية.
4. التطور العلمي والثقافي لدى السكان يدفع إلى وضع المزيد من التجهيزات العلمية والثقافية والتربوية.
5. تقليل فترة الانتقال بين المسكن والعمل والأماكن الترفيهية تبرز الحاجة إلى إعادة شبكة المواصلات تغطي كافة أحياء المدينة وتنظيم عملية النقل الفردي والجماعي.
6. الحفاظ على التراث العمراني نظرا لما يمثله من تراث تاريخي يتطلب أحياء الوسط القديم للمدينة وترميم الأبنية الأثرية.

7.الحفاظ على التوازن الطبيعي يتطلب الحفاظ على الموارد الطبيعية وحماية المحيط الطبيعي وتنظيم المناطق الجبلية والشواطئ.

8.حماية الصحة العامة للمواطنين، تقتدي مكافحة التلوث وإنشاء مناطق خضراء ومساحات مشجرة.

9.جمالية المدينة تتطلب تنظيم الساحات العامة وتزيين الشوارع وتنويع أشكال المساكن كي تتجنب الرؤية الروتينية المملة.

10. الحفاظ على توازن المجتمع وأمنه يتطلب عدم الفصل بين أحياء المدينة سواء على الصعيد الطبقي أو على الصعيد الاجتماعي[34].

وعلى حسب الأهداف المسطرة لهذا البحث نقوم بدراسة التخطيط العمراني للوظيفة الترفيهية .

2-1-4-1 التخطيط العمراني للوظيفة الترفيهية:

يهدف التخطيط العمراني للوظيفة الترفيهية إلى إيجاد الحل الأمثل للوظيفية الترفيهية داخل المدن مثلما هو الحال في الوظائف الأخرى للمدينة من سكن وصحة ومواصلات ...الخ والتي يجب أن يراعيها التخطيط العمراني للوصول إلى تخطيط عمراني جيد ومناسب يلبي جميع حاجات المدنية ويوفر مستوى جيد من الرفاهية للإنسان مستخدم الفضاء العمراني[27].

2-1-4-1-1 أصناف استعمالات الأرض الترفيهية وتوزيعها داخل المدن .

تشمل استعمالات الأرض الترفيهية داخل المدن أصنافا متنوعة ومتعددة أبرزها المتنزهات العامة والملاعب الرياضية وحدائق الحيوانات والنوادي ودور السينما والمسارح ومراكز الشباب إضافة إلى الأماكن التاريخية والأثرية والمراكز الحضرية والمكتبات وتمتد قائمة هذه المجالات إلى الأماكن الطبيعية كالشواطئ والسواحل والبحيرات وضفاف الأنهار والغابات وسفوح الجبال وبطون الأودية وترتبط بهده القائمة بعض أماكن الخدمات كالفنادق والمطاعم والكازينوهات والمقاهي.

ومن بين مظاهر الاهتمام بالنواحي الترفيهية للسكان هو تزويد كثير من خطط المدن بمنطقة خضراء أو ما يعرف عادة بالحزام الأخضر أو تزويدها بأذرع أو أشرطة خضراء

تمتد من المركز نحو الخارج وتمر بصورة خاصة وبقدر الإمكان خلال المناطق أو القطاعات المزدحمة أو المتأخرة في المدينة وموازية للطرق العامة. [27]

ويمكنا أن نذكر مثالا على ذلك الحزام الأخضر الذي خطط حول مدينة "لندن" والذي بلغ اتساعه 5 أميال، والحزام الأخضر حول "موسكو" والذي بلغ 10 أميال ومساحته 695 ميلا مربعا في حين أن المدينة بلغت حينها 338 ميلا مربعا وعدد سكانها 9.4 مليون نسمة عام 2000. كما هو مبين في (شكل رقم II-06)

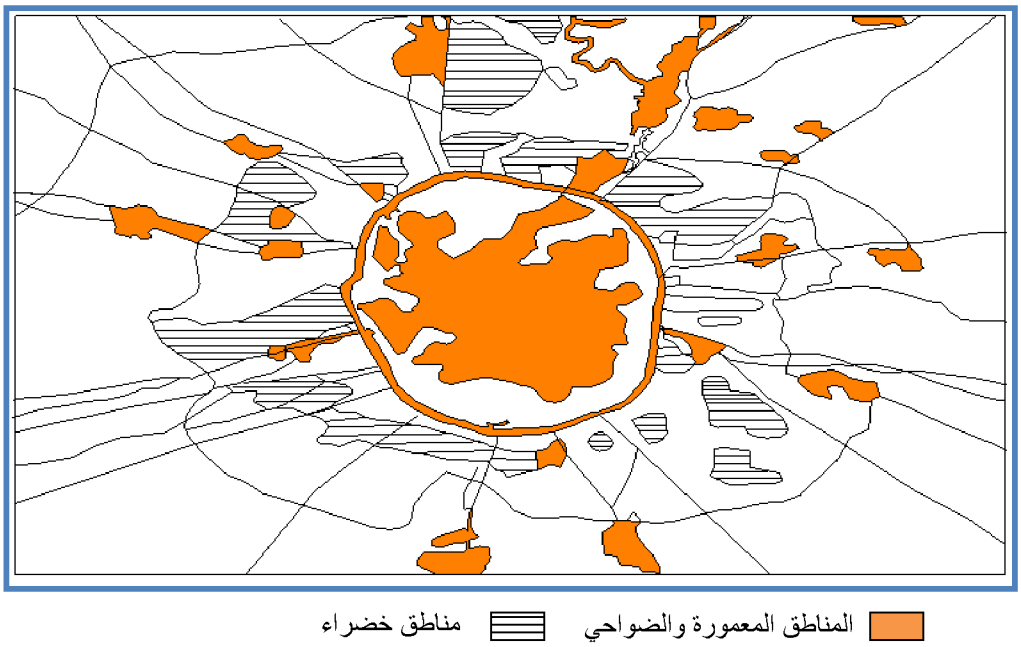

شكل رقم (II-06) المنطقة الخضراء حول موسكو
المصدر: التخطيط الحضري د.صبري الهيتى ص232 وبتصرف من الباحث 2011.

ودائما وعلى حسب الأهداف المسطرة لبحثنا هذا يمكننا أن نقول أن المساحة التي تحتلها الأحزمة الخضراء تشكل أحد الأصناف الرئيسة والبارزة من الاستعمالات الترفيهية داخل المدن وخارجها إضافة إلى ما لها من وظائف أخرى كاتخاذها وسيلة لتحديد توسع المدن وتلطيف ظروفها الجوية المحلية كما أنها تعتبر أحد الطرق التي تقيد توغل المدن داخل الأراضي الزراعية التي تحيط بالمدينة .

وفى سياق دراستنا هذه نستعرض لبعض اقتراحات المخططين في هذا المجال، حيث اقترحوا أن لا تقل نسبة الاستعمال الترويجي في المدينة عن 10% من مساحة المدينة سواء داخل منطقتها المعمورة أو عند حدود التماس المباشرة لها.

2-1-4-1-2 أصناف الاستعمال الترويحي داخل المدن.

يتميز الاستعمال الترويجي بتعدد أنماطه إضافة إلى انتشار هذه الأنماط وتداخلها مع الاستعمالات الأخرى داخل المدنية. ويأتي هذا استجابة إلى تباين أذواق الناس وأعمارهم ورغباتهم ومستواهم المعيشي والثقافي. ومن أوسع هذه الاستعمالات مساحة هي المنتزهات وغالبا ما تقع عند أطراف المدينة أو كجزء من الأحزمة الخضراء التي خطط لها لأن تطوق المدينة.

وتصنف المراكز الترفيهية حسب ملاءمتها لوظيفتيها الترفيهية وقد صنفت المراكز الترفيهية إلى مناطق للترفيه الخارجي وأخرى للترفيه الداخلي. وفى مناطق الترفيه الخارجي تعتمد المصادر الطبيعية كمعيار للتصنيف. ويمكننا أن نذكر التقسيم الذي جرى في الولايات المتحدة الأمريكية حيث قسمت الأنماط الترفيهية إلى ما يلي:

1-مناطق الترفيه ذات الكثافة العالية.

2-مناطق الترفيه العامة.

3-مناطق البيئة الطبيعة.

4-المناطق الطبيعية الفريدة.

5-المواقع التاريخية والأثرية.

6-المناطق البدائية.

وفى هذا سياق نذكر أيضا دراسة أجريت في مدينة "البصرة العراقية". حيث قام الباحثون بعد دراسة مراكز الخدمات الترفيهية في مدينة البصرة وإقليمها بتقسيمها إلى صنفين رئيسين هما:

1-**المراكز الترفيهية الإقليمية**. والتي تقع خارج الحدود البلدية للمدينة والتي تعتمد على خصائصها الطبيعية في قوة جذبها للزوار كالمناخ والمياه والحياة النباتية والحيوانية. ويتطلب مساحات واسعة تصل إلى عشرات الكيلومترات وملكيتها تعود إلى الدولة .

2- **المراكز الترفيهية المحلية**.والتي تقع ضمن الحدود البلدية وموجهة نحو المستعملين وتتصف هذه المراكز بصغر مساحتها وارتفاع كثافة استعمالها وتعدد أنواعها وملكياتها، ويفوق عامل سهولة الوصول إلى هذه المراكز خصائصها الطبيعية، ويكون وقت استعمالها الرئيس بعد العمل عادة وتمارس بعضها ضمن قاعات داخلية.

وبعض ذكر الدراستين السابقين نذكر أيضا دراسة قام بها (د.صبرى الهيتى) في بغداد. والذي درس استخدامات الأرض الترفيهية في مدينة بغداد وقام بتقسيمها إلى الأنماط التالية. [27]

1-المناطق المفتوحة الخضراء المخصصة للترفيه كالمنتزهات وحدائق الحيوانات وواجهات النهر والبحيرات.

2- المطاعم.

3-المسارح ودور العرض

4-المقاهي.

5-المتاحف والأماكن الأثرية.

6-مساحات الألعاب الرياضية والتسلية.

2-1-4-1-3 معايير اختيار الأرض المخصصة للاستعمالات الترفيهية:

مما لاشك فيه أن هناك فروقا فردية واسعة بين الأفراد في المجتمع الواحد وبين المجتمعات البشرية من حيث مجالات الترفيه التي يرغبون ممارستها، فكلما تختلف مجالات الترفيه تختلف رغبات الإنسان وان لهذا الاختلاف أهمية إذ تؤدى إلى اتصاف متطلبات الأرض للأغراض الترفيهية بالمرونة، حيث أن ما يتطلبه الأشخاص الذين يفضلون ارتياد المسارح ودور السينما من الأرض لا يشكل إلا نسبة ضئيلة من المساحة المعمورة من ارض المدينة، وتتطلب نشاطات الصيد والمخيمات والتجوال لغرض التنزه في المناطق الطبيعية مساحات واسعة من الأرض.

ومع زيادة السكان المستمرة وتصاعد ظاهرة التحضر واستمرار اتساع المدن وازدحامها والاستمرار في تقليص ساعات العمل الأسبوعية واستمرار ارتفاع الدخل الفردي وظهور البرامج الترفيهية للشباب واستمرار الزيادة في تعقد الحياة الحضرية أصبح كل من سكان المدن والريف تواقون بشكل متزايد للإقبال على وسائل الترفيه داخل المدينة وخارجها . [27]

ويمكننا أن نذكر في سياق موضع البحث أن معظم المعايير قائمة على أساس التقدير في حين أن البعض الأخر منها مقترح، فقد قدر بان العائلة الأوروبية التي تتكون من 4 إلى 5 أشخاص تحتاج إلى 85م^2 أو على الأقل ثلث المساحة المبنية من الدار

كحديقة أو مجال يترك للأغراض الترفيهية العائلية داخل البيت لقسم من النهار كما تخصص نسبة تتراوح بين 40% إلى 50% من مساحة الحي السكنى كحدائق أو متنزهات، وقدرت حاجة العوائل الانكليزية من الحدائق العامة والساحات وميادين الألعاب بنصف مساحة الحي السكنى.

أما الأحياء التي تجهز بمنهج ترفيهي مناسب فقد اقترح أن تخصص نسبة 40% من مجموع مساحتها للأغراض الترفيهية .ونتيجة للضغط الشديد على المناطق الترفيهية حول المدن الكبرى مثلا في هولندا (البلد الذي يعانى من قلة الأرض) فقد أظهرت أحدى المبادرات لتخصيص 0.056 من الهكتار لكل نسمة من الأرض الترفيهية آي 10 م2 لكل شخص.

كما ظهرت تقديرات واسعة المدى تتعلق بمتطلبات الأرض الترفيهية للمدن من قبل الجمعية الترفيهية القومية الأمريكية في سنة 1923م، فقد اقترحت هذه الجمعية آن تحتوى المدن التي يبلغ عدد سكانها 10000 نسمة مقدار 10 أيكرات من الأرض الترفيهية لكل 1000 من السكان، أما بالنسبة للمدن التي يقل عدد سكانها عن 10000 نسمة فقد وجدت الجمعية أن يخصص فيها أيكر واحد لكل 40 شخص، آي 40م2 لكل شخص.

كما ارتأت دائرة شؤون المتنزهات الأمريكية أن يخصص على الأقل أيكر واحد لكل 100 نسمة من السكان كمنتزه أو مكان ترفيهي أما داخل المدينة آو بالقرب من حدودها وقد اقترح أن تخصص نسبة 10% من مساحة كل مدينة كحد أدنى للأغراض الترفيهية .

وفى الأخير يمكننا إعطاء جدول لمتوسط مساحات الفضاء المخصصة لوظيفة الترفيهية.

صنف المركز الترفيهي	المساحةم2 لكل 1000 شخص	مساحة المواقع بالمتر المربع المثالي	مساحة المواقع بالمتر المربع الأدنى	المساحة التي يخدمها بالكيلومتر
ملاعب	1000	4000	2000	0.8
حدائق ألعاب	1500	10000	5000	0.8
حديقة	2000	15000	10000	2.5
حقل رياضي	1500	100000	40000	3.5
متنزه عام	3500	200000	100000	4.5
متنزه مركزي	3500			16
متنزه غقليم	15000			

جدول رقم (II-01) متوسط مساحات الفضاء المخصصة للوظيفة الترفيهية
المصدر .التخطيط الحضري د.صبري الهيتى ص241.

2-1-5 مراحل التخطيط العمراني للمدينة:

إن التخطيط الحضري للمدينة هو محاولة لتهيئة المناخ الذي يسمح للمجتمعات بإيجاد الوسائل الضرورية لتحقيق إطار معيشي ملائم لسكانها تتوفر فيه أسباب الراحة والرفاهية داخل المدن، حيث يسعى الإنسان دائما إلى تنظيم البيئة الذي يعيش فيها وإيجاد الأدوات التي تمكن من تحقيق الانسجام الأفضل بين جميع أفراد المجتمع محاولة لاستثمار كل الطاقات لتحقيق ذلك. ولهذا يستلزم للإنسان عملية التخطيط الحضري التي تهدف إلى ضمان نسيج عمراني متوازن ومتناسق وظيفيا وجماليا واجتماعيا، ولتخطيط مدينة ما لا بد أن تمر هذه الأخيرة بعدة مراحل في تكوينها إلى أن تصبح عبارة عن تراكب لمورفولوجيات تاريخية، اجتماعية وتعطي في النهاية تنوعا في المجال الحضري ويمكننا أن نضرب مثالا على ذلك مدينة "اصفهان" الإيرانية التي أصبحت عاصمة لإيران عام1587 م حيث قام "الشاه عباس" بتنظيمها بإقامة برنامج واسع لإعادة التنظيم.

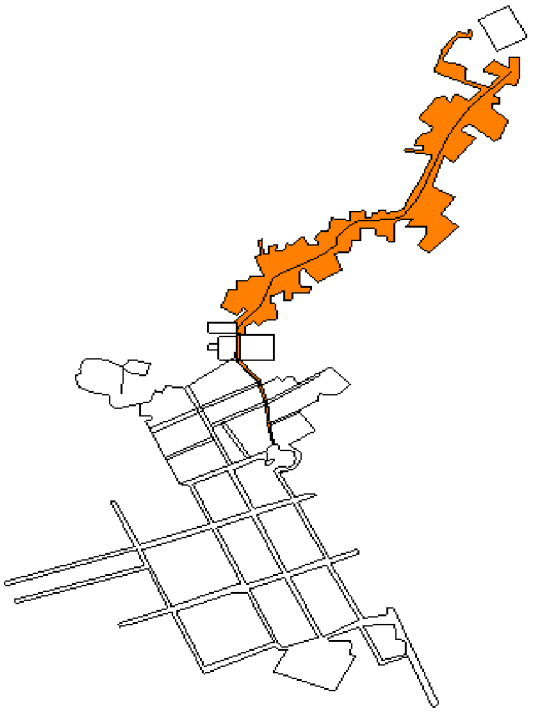

شكل رقم (II-07) مدينة اصفهان للشاه عباس
المصدر : J : pelletier et ch. Delfante، ضمن العمران والمدينة
د خلف الله بو جمعة ص 73، بتصرف من الباحث 2011.

1-5-1-2 التخطيط الحضري للمدينة:

إن التخطيط الحضري للمدينة هو الوسيلة الرئيسة لتطوير المدينة وفق أهداف مدروسة ومحددة تمكن من تلبية حاجات الأجيال وذلك عن طريق المخططات العمرانية التوجيهية المعبرة عن التسيير العقلاني والمتوازن للمجال، بحيث يتم ذلك بعد الدراسة التحليلية وجدولة الحاجات المادية الخاصة بالمجتمع على ثلاث مراحل متوازنة قصير المدى، متوسط المدى، طويل المدى، بعد ذلك يتم وضع التصورات الممكنة للتوسع العمراني الذي يعتبر نهجا منظما يشكل حاجزا للفوضى والتلوث الذين يشكلان السمعة الغالبة للمدن العفوية وفق هذه المعطيات حيث يقوم التخطيط الحضري المعاصر على مراحل وهي كالأتي:

مرحلة جمع المعلومات، مرحلة التحليل، مرحلة الاقتراح.

2-1-5-1-1 مرحلة جمع المعلومات (الدراسة الأولية).

تشمل هذه المرحلة جمع المعلومات الإحصائية الخاصة بالمعطيات الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية في الموقع المختار وتتم العملية بطريقة علمية، بحيث يتم انتقاء المصادر كالخرائط الذي ينبغي دراستها والمخططات المختلفة والنشريات الإحصائية الصادرة عن الدوائر الحكومية أو الهيئات أو مراكز البحوث...الخ.

2-1-5-1-2 مرحلة تحليل المعلومات.

تخضع المعلومات التي تم جمعها إلى الدراسة والترتيب والتحليل، فالدراسة المتصفحة للمعلومات تمكن من تصنيفها وترتيبها في جداول وبيانات مختلفة تتم معالجتها فيما بعد لاستخراج منحنيات وجداول استنتاجية ذات دلالات معينة تكون هي خلاصة التحليل والمفتاح الذي نتمكن بواسطته من صياغة عدة سيناريوهات توقعية.

2-1-5-1-3 مرحلة الاقتراح.

وبناء على الاستنتاجات والخلاصات التحليلية للمرحلة السابقة فانه يمكن للعمران الشروع في تنظيم المجال وإعطاء وبرمجة المقترحات من مسكن وتجهيزات ومساحات خضراء ومرافق عمومية وذلك للتجاوب مع حاجات المدينة في المستقبل المنتظر الذي ينبغي تقديره، ثم يشرع بعد ذلك في عملية إبداعية لتحويل هذه البرمجة إلى تصميم عمراني تسمى –المخطط التوجيهي العام–، بحيث يتم تحقيق هذا المخطط عبر مراحل متعددة ترافق مراحل تكوين المدينة.

2-1-5-2 مراحل تصميم المدينة.

من الصعب تحديد مراحل معينة لبناء المدينة لأن هذه الأخيرة تشارك وتعاون في بنائها عدة أجيال حيث تكمن الصعوبة في تحديد المراحل في أن البعد الزمني له دور كبير في تكوين هذا الكيان ذي طابع ديناميكي مما يعني أن المدينة هي نتاج أو بناء مستمر عبر الزمن.

ويمكننا القول أن المدينة ذلك المشروع العمراني يمر تصميمها على ثلاث مراحل (على حسب تصنيف "فاروق حيدر")[28] وهي كالأتي:

- المرحلة الأولى. إنجاز الرسيمات .
- المرحلة الثانية : إعداد التصميمات التمهيدية.
- المرحلة الثالثة : إعداد التصميم النهائي.

2-1-5-1-2 المرحلة الأولى: انجاز الرسيمات.

حيث تشمل هذه المرحلة الفكرة العامة عن التخطيط الأولي عن المدينة وصورتها المستقبلية الإجمالية، بحيث يكون تصور إجمالي لكل منطقة من المناطق المشكلة للهيكل المديني العام في شكل خطوط عريضة لكيفيات صيرورة المدينة على المدى البعيد وتكمن صعوبة هذه المرحلة في اعتمادها على قدرة المصمم العمراني على الإبداع الفني لا غير وهذا يعني أنها لا تخضع لمعادلات هندسية أو حسابية إنما القدرة الذاتية على الإبداع والتجاوب مع البرامج والسياسات المرسومة وفي هذه المرحلة يتم دراسة الاستعمالات المختلفة والممكنة للأرض وتصور بدائل متعددة كحلول احتمالية تختلف الواحدة عن الأخرى بمدى قدرة كل منهما على الأداء الوظيفي والأداء الجمالي، وتكون هذه البدائل عبارة عن تشكيلات من الاستعمالات السكنية والتجارية والخدماتية والصحية...الخ ويختلف كل بديل عن الأخر بكيفيات ترتيب العلاقات بين الاستعمالات المختلفة والأحجام والأبعاد اعتمادا على المقومات الجمالية في التخطيط سواء كانت طبيعية أو مستحدثة .

2-2-5-1-2 المرحلة الثانية : إعداد التصميمات التمهيدية (Avant projet).

في هذه المرحلة تتطور الرسيمات التي تم إعدادها في المرحلة السابقة بعد الاختيار النهائي إلى تصميمات تمهيدية، تظهر فيها ملامح النسيج العمراني المنتظر ومن ثم يشرع بعد ذلك في دراسة التوافقات بين مكونات التصميم من اجل إبراز عوامل التوافق والتعارض بينها وإجراء التعديلات اللازمة لتحقيق الأهداف المنشودة وظائفيا وجماليا، حيث يكون الاهتمام منصبا على دراسة مركز المدينة ثم يتم الانتقال إلى المجال الخارجي تدريجيا، وهكذا تخطط المناطق مجاليا حسب تقسيم وظائفي دون إهمال تداخل الوظائف مما يستدعي مهارات مميزة من اجل ترتيبها وتنظيمها مجاليا بصورة متكاملة ويمثل التصميم التمهيدي اهتماما كبيرا لشبكة النقل والشوارع التي تمثل التقاطعات بين الأنشطة السكنية وباقي النشاطات الأخرى.

2-1-5-2-3 المرحلة الثالثة: إعداد التصميم النهائي.

يأتي التصور النهائي للتصميم العام للمدينة بعد الرسيمات التمهيدية التي أعدت قدرا من التفصيل للنسيج العمراني وأيضا التنسيق بين الاستعمالات المختلفة للأراضي، بحيث يعبر التصور النهائي للمدينة عن الاختيار النهائي الذي يفترض فيه أن يكون أفضل الاقتراحات التي تنظم شكل استعمال الأراضي داخل المدينة، بحيث يكون هذا التصميم الأفضل هو ذلك التصميم الذي يحقق اكبر قدر من التوافق بين هذه الاستعمالات لتنظيمها معا بشكل يحقق التوازن بين الوظائف وسيولة الربط مجاليا بينهما عن طريق شبكة من الطرقات كما أن هذا التخطيط العام للمدينة يجب أن تتوفر فيه عوامل تسيير العقلاني للمجال والاستغلال الأمثل للوقت وتحقق فيه اكبر قدر من البعد الجمالي.

2-1-6 النظريات الحديثة لتخطيط المدن:

أثرت الثورة الصناعية التي ظهرت في أوروبا على المدن بشكل كبير حيث نتج عن ذلك مشاكل بيئية واجتماعية كثيرة مما دفع المفكرين والسياسيين والفنانين إلى التفكير بجدية في إيجاد الحلول وتفادي المشاكل التي نجمت عن الثورة الصناعية وفي ميدان العمران حدثت تغيرات جذرية في مبادئ التخطيط العمراني بهدف وضع تصاميم جديدة لمدن معبرة على حقيقة المجتمع الجديد، أي معبرة على قيم العالم الصناعي وهكذا برزت نظريات جديدة في العمران والعمارة نتيجة هذا التطور والتفاعل في المجتمع، و من رواد هذه النظريات الحديثة كل من هوارد (Howard) وقيدس (geddes) وسوريا، مالطا (S.Matta) وكريستالر (W.christaller) وآخرين، ويمكننا هنا وفى هذا الإطار أن نعرض بعض النظريات الحديثة للتخطيط العمراني وهى كما يلي:

2-1-6-1 نظرية المدن الحدائقية :

وضع (Ebenzer Howard) تصوره لهذه المدينة في أواخر القرن التاسع عشر عند ظهور كتابه الشهير مدينة "الغد الحدائقية" عام 1898م هذا المؤلف الذي احتوى على المبادئ الأساسية الجديدة لتصور مدينة المستقبل، حيث انطلق من فكرة مركزية مفادها التساؤل التالي:" المدينة والقرية أيهما يمكن أن يوفر الحياة المتكاملة، حيث أن لكل منهما ميزاته وعيوبه؟" وقد رأى في هذا الشأن أن لكل منهما ايجابيات يستحسن توظيفها وسلبيات يستحسن تفاديها وانتهى إلى أن ايجابيات المدينة تتلخص في الحياة الاجتماعية

الثرية وتوفر أماكن الاسترجاع والراحة والترفيه المميزة والتنظيم المجالي المقبول والشوارع المحسنة التصميم، أما السلبيات فمن أهمها، بعد المسافات بين أماكن السكن وأماكن العمل، التلوث البيئي، والمشاكل الصحية الوقائية، والتواجد السكاني غير اللائق .

أما الريف فتتمثل ايجابياته الأساسية في نقاء الهواء وجمال الطبيعة وتوفر أسباب الراحة والعيش البسيط...الخ، أما السلبيات فتتمثل في ركود الحياة الاجتماعية ونقص فرص العمل وانعدام وسائل الترفيه وأماكن الراحة والبنى التحتية الأساسية.

هكذا بنى "هوارد" قواعد لتصميم مدينته على أساس تفادي السلبيات وتوظيف الايجابيات من الفكرة السابقة، بحيث تمكن "هوارد" من وضع تصميم مدينة جديدة سماها (المدينة الحدائقية) والتي وصفها بأنها مدينة الحياة السليمة، هذه المدينة ليست مستعمرة سكنية مغلقة وإنما مدينة كاملة العناصر يسكنها عدد محدود من السكان ولا يزيد ولا ينقص يكفل لها حياة اجتماعية كاملة كما تكون ملكية الأراضي ملكا لسكانها تفاديا للاستغلال الشديد للعقارات مما قد يؤثر في الكثافة السكانية بتكاثف المباني كما اقترح "هوارد" مركزا لمدينة بمساحة يقطنه حوالي 22.000 نسمة تحيط به أراض زراعية ومساحات خضراء بمساحة تقدر بخمس مرات مساحة المركز أما النشاطات الغالبة للسكان فتتمثل في الصناعة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالزراعة المحيطة به، أيضا أن "المدينة الحدائقية" تتكون من خمسة شوارع دائرية تبدأ برقم واحد من الخارج بحيث تكون ملاصقة للمنطقة الصناعية الدائرية أيضا وتنتهي بالخامس من الداخل، بحيث تكون ملاصقة للسوق التجاري وفي الوسط الساحة المركزية المحاطة بحدائق وترتكز حولها المباني العامة مثل المكتبات والمباني الحكومية ودور القضاء والمسرح والمتاحف والدوائر الحكومية...الخ.

ويلي الحدائق سوق تجاري وضعت بعده المناطق السكنية في نطاقات دائرية ممتدة يتوسطها طريق دائري واسع توجد على حوافه المدارس والمباني الدينية، أما المصانع فهي على الطريق الدائري الذي يلف المدينة من الخارج,كما ينطلق من المركز ستة طرق رئيسة مارة على الساحة المركزية وبذلك تنقسم المدينة إلى ستة أقسام رئيسة، و نذكر مثالا على تصورات (Ebenzer Howard) وهي مدينة ليتشورث (أين طبقت نظرية المدن الحدائقية لهوارد) بنيت مدينة ليتشورث على بعد حوالي 50 كلم على مدينة لندن

وقد صممت لتسع 35.000 نسمة ولم تكن عملية إعمار هذه المدينة من طرف السكان في مستوى طموحات المصممين وذلك لعدة أسباب فنية.

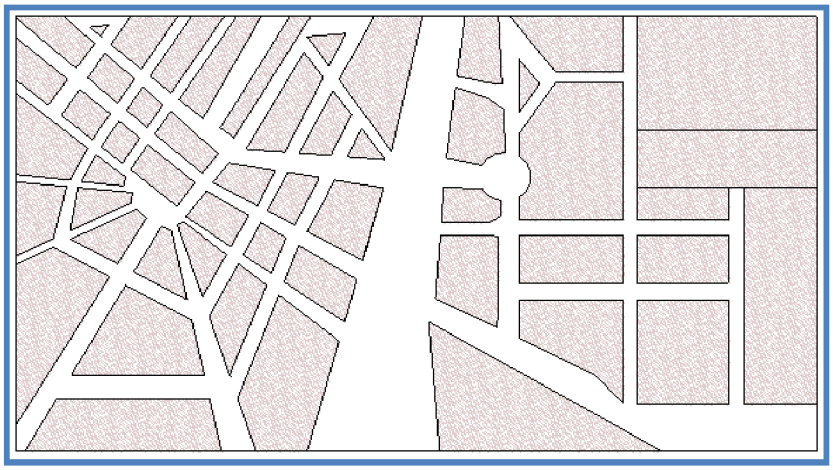

شكل رقم (II-08) مدينة ليتشورث

المصدر : J : pelletier et ch. Delfante ضمن العمران والمدينة، د خلف الله بوجمعة، ص85 وبتصرف من الباحث 2011.

2-6-1-2 نظرية المدن التابعة.

ظهرت فكرة المدن التابعة على يد المنظر إنوين (Raymond Unwin) الذي تأثر بفكرة المدن الحدائقية ولهذا اقترح في هذا العام مدنا صغيرة الحجم على نفس المبدأ شريطة أن تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا وتتبع بمدينة رئيسة.

3-6-1-2 نظرية الأماكن المركزية.

طرح المنظر الألماني كريستلر (Walter Cristaller) نظرية الأماكن المركزية كفكرة مبنية على توزيع المدن على إقليم معين وفق نظام ميكانيكي يحدد المسافات بين المدن المتفاوتة في أحجامها ومراتبها في شبكة المدن (Armatue urbaine) حيث بنى أفكاره على حسب الفرضيات التالية:

- تجانس الأقاليم وخلوه من التضاريس والعوائق الطبيعية الصعبة
- تصنيف الاحتياجات المطلوبة في مناطق الإقليم المختلفة.

ويتشكل نطاق نفوذ الأماكن المركزية حسب أشكال مختلفة هي:

أ- مدن متماثلة تمثلها دوائر متساوية وبين فراغ وظيفي يتنازعه نفوذ المدن المختلفة

ب-مدن متماثلة مثل سابقاتها لكن الدوائر في هذه الحالة لا تتماس بل تتقاطع حتى تتلاشى الفراغات البينية وبالتالي تكون مناطق النفوذ مضلعة الشكل.

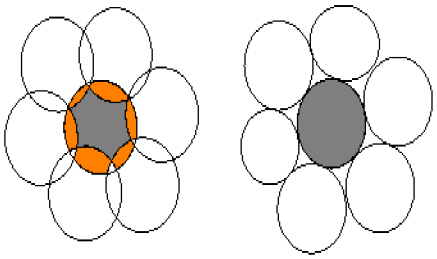

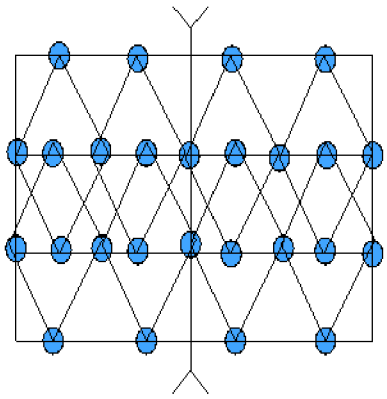

حيث يرى كريستلر أن الشكل السداسي هو الشكل المضلع المناسب والمثالي لتحديد نطاق النفوذ والتباعد بين المراكز المتماثلة ويكون التباعد بين المراكز ذات المستوى الأعلى خاضع لنظام الشكل السداسي وهكذا إلى أعلى المراتب في الإقليم المتجانس الواحد ومن هنا فان المدينة تعتبر مركزا نطاق نفوذه عبارة عن شكل سداسي تتناسب أهميته مع المساحة الإجمالية .

شكل رقم (II-09) نطاق النفذ المدن المتماثلة وشبكة كريستلر
المصدر : فاروق عباس حيدر.ص88 وبتصرف من الباحث 2011.

4-6-1-2 نظرية مدينة الغد (la cité de demain).

إن صاحب هذه النظرية هو متصدر المدرسة الحديثة في العمران المعماري (le Corbosier) هذا الأخير الذي اقترح تصميم لمدينة إشعاعية ذات حدائق واسعة يتكون وسطها من ناطحات سحاب تحتوي كل عمارة منها على 60 طابقا وتحوز مساحة قدرها 05% من مساحة المدينة وتستغل كمكاتب وفي مركز المدينة توجد محطة تحت الطرق الفرعية بغرض تحويل السير وفي الطابق السفلي من المركز وعلى ثلاثة مستويات توجد محطات لخطوط النقل والمواصلات العامة، ويمكننا ملاحظة ذلك في المخطط المسمى (Plan voisin) المقترح عام 1925م، كما يحيط بناطحات السحاب عمارات سكنية على شكل خطوط منحنية تتكون من ستة طوابق تتخللها مساحات خضراء وهي بكثافة اقل بكثير من ناطحات السحاب وتقدر كثافتها بعشر كثافة سابقاتها ونجد أيضا مساحة مخصصة للفيلات وهي اقل كثافة من باقي الأجزاء كما أن هذه المدينة تتسع إلى ثلاثة ملاين نسمة وتسمى المدينة المعاصرة وهذا وعلى حسب المقترح التصميمي لـــ (le

Corbosier) وفي هذا الشأن جاء المخطط المقترح في عام 1922 من طرف (le Corbosier) بالتفاصيل التالية:

- يقسم المكان إلى مليون ساكن في المركز حيث التركيز العالي للكثافة السكانية ومليونين في الضواحي الأقل تركيزا.
- تقوم العمارات على الجوانب العريضة
- عمارات المركز العالية تكون على شكل صليب أما العمارات الأخرى فهي منعرجه الشكل في المسقط الأفقي.
- الشوارع الرئيسة بعرض 50 متر وتبعد مسافة بينية قدرها 400 متر.

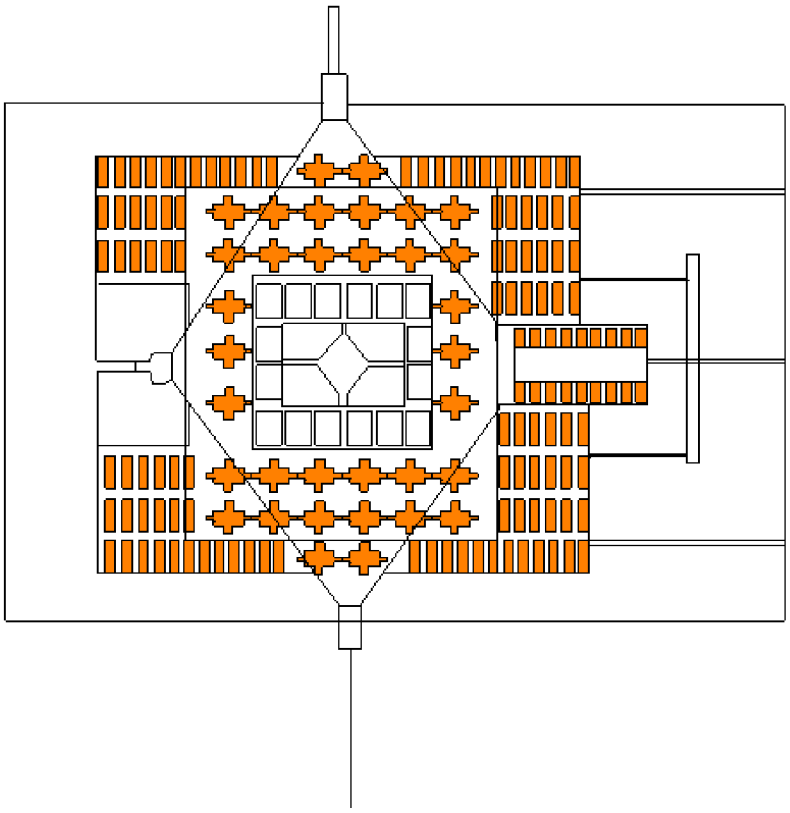

شكل رقم (II-10) مخطط (فوزان) voisin لباريس 1925

المصدر : J : pelletier et ch. Défiante ضمن العمران والمدينة، د. خلف الله بوجمعة ص90 وبتصرف من الباحث 2011.

2-1-6-5 نظرية المدينة المثالية (ville idéale).

اقترح المنظر ايريك جلودن (Erick Gloden) عام 1923م مدينة مثالية على أساس تكوين المدينة من خلايا دائرية متساوية المساحة بقطر 2.40 كلم تسع كل منها 100.000 نسمة وكل من هذه الخلايا مصمم لتأدية وظيفة معينة من برنامج محدد لوظائف كل خلايا المدينة مع مراعاة أن تكون هذه الخلايا مكتفية ذاتيا من حيث الخدمات كما حددت أيضا المسافة الملائمة بين المسكن وموقع العمل وبين المسكن والخدمات وخاصة المدارس بالمدة التي تستغرقها أي رحلة على أن لا يتجاوز ذلك 15 دقيقة سيرا على الأقدام بالإضافة إلى وضع في مركز كل خلية ما يناسب من مؤسسات وخدمات لتأدية وظائفها على أن يحيط بالمركز حلقات من المساكن المتدرجة الكثافة، كما تم اختيار مواقع الصناعات في أماكن مناسبة بالنسبة للمركز أما بالنسبة لحركة المواصلات في هذه المدينة فإنها تتكون من شبكة من السكك الحديدية لتحقيق التنقل السريع ومن شبكة من الطرق لتربط مراكز الخلايا فيما بينها واعتمد هذا النظام العضوي للمدينة بإنشاء خلايا مستجدة لنمو المدينة.

إن الباحثين أعابوا على هذه النظرية لأنها مستحيلة التحقيق في الواقع نظرا لتساوي الخلايا.

2-1-6-6 نظرية المدينة ذات الخلايا المختلفة.

جاءت هذه النظرية على أساس دراسات وتحليلات وإحصاءات تناولت كلا من تكوين المدينة وسكانها، عام 1939 من طرف "باردیه" (Gaston Bardet). فقد أدرك هذا الأخير بان التخطيط المجالي ليس مجرد إجراء رسم تنظيمي، ولكنه يتعدى ذلك ليصبح معبرا عن تكوين وتجميع المجموعات السكنية والفراغات بشكل يعطي للمدينة كيانها ومعالمها.

وتنطلق هذه النظرية من فرضية مفادها أن كل حي وكل منطقة في المدينة لها حياتها الخاصة وطابعها المميز الذي يجب أن ينعكس على مستوى التصميم. كما أن نمو هذه المدينة يجب أن يكون بشكل تظهر فيه معالمها الأصلية وتتم المحافظة على مراكزها مع إنشاء مراكز جديدة من خلايا مختلفة متفاوتة الحجم حسب الضرورة ولكل واحد من هذه المراكز مركزه أيضا.

2-1-6-7 نظرية السوبر بلوك (Super bloc).

هذه النظرية من أشهر النظريات التي جاء بها علماء التخطيط العمراني حيث تجلت معالمها في التخطيط لمدينة "راد بورن" بولاية "نيوجرسي" بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1929م المقترحة من طرف المنظرين رايت وشتاين (Henry Wright et Clarence Shtein)، حيث جاءت هذه النظرية بأفكار جديدة تمثلت فيما يلي :

- وضع الشوارع الرئيسة على حدود الأرض المراد تخطيطها
- انطلاق الشوارع المحلية من الشوارع الرئيسة خدمة لمساكنها على أن ينتهي كل شارع منها بميدان صغير يسمى (Cul-de-sac) في خطوة لجعل قلب المنطقة بعيدا عن حركة ومسارات السيارات والتي يمكن استغلالها في إقامة المنتزهات وإمكانية وضع عناصر تخطيطية أخرى بعيدة عن ازدحام الحركة والتلوث .

2-1-6-8 نظرية المجاورة السكنية (L'unité de voisinage).

ترجع هذه النظرية إلى "Clarence Perry" وأطلق عليها هذا الاسم عام 1929م، حيث تقوم هذه النظرية على أساس أن مساحة وحدة الأرض المجاورة السكنية تحدد ببعد معين من السكان لهم متطلبات معيشية متميزة وقد أخذ "بيري" Perry المدرسة الابتدائية كنموذج حيث اعتبرت مركزا يسع إلى 1000 إلى 1200 متمدرسا مما ينتج عنه عدد سكان المجاورة السكنية يساوي 5000 إلى 6000 ساكنا اعتبارا من أن التلاميذ يمثلون 5/1 من المجتمع، تتم عملية تخطيط وتوسيع وتعمير هذه المجاورة السكنية حسب هذه النظرية ببناء مساكن ذات كثافة متوسطة ومساحة معقلنة بحيث أن التلميذ لا يسير من منزله إلى مدرسته الابتدائية أكثر من نصف كيلومتر كما تخصص مساحة تقدر بعشر من المساحة الإجمالية للمجاورة السكانية لتكون منتزهات وحدائق وهكذا تم تنظيم شوارعها الرئيسة واستغلال شوارعها المحلية الداخلية لخدمة مبانيها والتركيز على وضع المحلات التجارية وأماكن العبادة والمكتبة في مواضع مميزة ووضعت بها أشياء مميزة.

ويكون للمجاورة السكنية نواة تقع في وسطها لجذب جميع سكانها و التكفل بمشاكلها والترويح عنهم وتعليمهم مما يساعد على تأكيد الأساس الاجتماعي في عملية تنظيم عناصر المدينة وتخطيطها العمراني.

2-1-7 الحاجيات الفيزيائية للمدينة:

تحتاج المدينة من اجل استمرار وظيفتها إلى عدد من البنى التحتية وتظهر في أدوات التعمير تحت تسمية (طرقات وشبكات مختلفة VRD)، هذه البنايات التحتية قد يتجاوز عمرها عمر البنايات والعمارات في المدينة وتحتاج المدينة إلى مجالات تزيد من تحسين مناظرها الطبيعية وتنقية هوائها وتقليل المناظر الضارة على صحة سكانها كما تحتاج إلى عناصر تحسن من الإطار الحياتي وتسهل تأدية الأعمال المنزلية والصناعية والخدماتية ويمكننا أن نلخص هذه الحاجات الفيزيائية للمدينة في:

1- المياه المنزلية 2- الصرف الصحي 3- النفايات المنزلية 4- توفير الطاقة 5-المساحات الخضراء 6-المقابر، وفي إطار أهداف البحث سوف نخص بالدراسة المساحات الخضراء، ولذلك لدور الكبير الذي تقوم به المساحات الخضراء في تحسين مستوى الرفاهية المحقق داخل النسيج العمراني.

2-1-7-1 المساحات الخضراء.

تعتبر المساحات الخضراء من الحاجات الفيزيائية الضرورية للمدينة حيث أنها تساعد على تنقية الهواء وتصفيه من ثاني أكسيد الكربون وتنتج الأكسجين الصافي إلى الهواء ودائما ومن الجانب العمراني نستطيع أن نقول أن المناطق الخضراء داخل النسيج العمراني تحدث تقطعات تسمح بتخفيف التركيز الحضري وتطغي صبغة جمالية على المناظر الطبيعية المفضلة من طرف غالبية السكان كأماكن الراحة والتنزه، تتشكل المساحات الخضراء في المدينة من الغابات الحضرية والمتنزهات والحدائق العامة الصغيرة والساحات المغروسة وهي عادة ما تكون مملوكة للبلدية أو لمصلحة خاصة تشرف على تسييرها ويتغير المظهر حسب حجمها من الجنينة الصغيرة إلى الغابات الواسعة ذات المئات من الهكتارات كما هو الحال في غابة بولون بباريس (Bois de Bolougne)، أما من الناحية الجمالية فان المنتزهات والحدائق الكبرى لها دور أساس في عملية التزيين الحضري كما تكون جزء مهما من مكونات المنظر العمراني (paysage urbain) ويتنوع توضع المساحات الخضراء العمومية في النسيج العمراني في أشكال عديدة بحيث يمكننا أن نذكر الأنماط الأكثر شيوعا وهي كالآتي:

- التركز في مجال أو مجالين مركزيين كما هو الحال في السنترال بارك بنيويورك أو جولدن قيت بارك في سان فرانسيسكو.

- التوزيع في مساحات خضراء صغيرة ومتناثرة ولو في وسط العمران عالي التركيز الحضري كما هو الشأن في باريس العتيقة (Intra-muros) أين نجد شبكة من حدائق تسمح بمسار مستمر، ومثال هذا غابتي بارسي في تولون (Boulongne et Vincennes) كذلك في مراكز مدينتي هانوفر وشتوتغارت بألمانيا .

المساحات الخضراء التي تختص بها السفارات والقنصليات والقصور الرسمية والزراعة الحضرية داخل المدن (Agriculture Urbain).

2-1-8 الأنسجة العمرانية العشوائية.

تعتبر زيادة نسبة النمو الديموغرافي الحضري والنزوح الريفي المستمر والأمل في الحصول على حياة أفضل من خلال العمل في المؤسسات الصناعية من المؤشرات الأساسية في زيادة الأحياء العشوائية وغير منظمة بالمدن، وتعتبر هذه الظاهرة ظاهرة عالمية، بحيث تنتشر هذه الظاهرة في معظم دول العالم وهذا كنتيجة طبيعية لتفاقم أزمة السكن الناتجة عن النزوح الريفي الكبير نحو المدينة، وبالرغم من انتشار هذه الظاهرة في معظم دول العالم إلا أنها تختلف من مدينة إلى أخرى من حيث أسباب وجودها وأنماط مبانيها ونوعية الحياة بها، بحيث أن الأحياء العشوائية التي توجد في الدول المتقدمة هي أفضل بكثير من الأحياء العشوائية المتواجدة في الدول النامية من حيث مبانيها وانخفاض كثافتها وقربها من المرافق العامة .

ومن الواضح أن الجماعات البشرية ذات الدخل المنخفض تلجا مباشرة إلى الأحياء العشوائية التي تقدم مأوى رخيص الثمن للنازحين الجدد غير القادرين على تحمل شراء أو إيجار وحدة سكنية جديدة أو قديمة، هذه التجمعات تعيش في عزلة تامة عن المجتمع المحلى الكبير بعاداته و عرفه وتقاليده، مما نجم عن ذلك ترييف المدينة وتشويه مظهرها الحضري و بالتالي ضياع الطابع المحلى للمدينة ونقص في رفاهيتها.

صورة رقم (II-08) الأحياء العشوائية في ضواحي مدينة القاهرة
المصدر: Encarta 2010.

2-1-8-1 تعريف الأحياء العشوائية .

لقد وصف الباحثون هذا النوع من الأنسجة بالكثير من الأسماء، بحيث يعرفها المعجم الفرنسي أنها تمثل أشكالا خاصة لبؤس السكن الحضري، بحيث تتكلم اللغة الفرنسية على المدن البائسة les villes misérables، وتتكلم اللغة الانجليزية عن settlements squatters الجماعات التي تحتل أرضا بغير حق أو أحياء واضعي اليد، كما يطلق مصطلح "العشوائيات" على التجمعات البشرية التي تتكون على أطراف المدن الكبرى، نتيجة عوامل عديدة، أهمها الهجرة من الريف إلى المدن، بحيث تكون هذه الأنسجة العمرانية من بيوت من الصفيح والخشب والكرتون، وهي مساكن غير مطابقة للمواصفات الهندسية تم إنشاؤها دون تراخيص من الجهات المختصة؛ وهي أيضا مناطق نشأت في غياب القانون وبعيداً عن التخطيط العام وأحياناً تعدياً على أملاك الدولة، وهي مناطق محرومة من المرافق الأساس والخدمات.

وهنا يجب أن نذكر أن التفرقة بين النمو الطبيعي والنمو العشوائي للمدينة، فالتجمعات السكنية التقليدية لم تنشأ على أساس مخططات تنظيمية مسبقة، بل اتصفت بنموها الطبيعي المتناغم مع الاحتياجات والعادات والتقاليد والمبادئ الدينية والاجتماعية المتعارف عليها في كل بيئة حسب وضعها الخاص، وهذا التكامل والتوافق بين وحاجيات

المجتمع والنمو الحضري مثّل في السابق ارتقاء شموليًا للمجتمعات المتحضرة، وبالرغم من أن هذه التجمعات لم تخضع لمخططات تنظيمية إلا أن الكثير من المفكرين والباحثين في هذا المجال لم يطلقوا عليها صفة العشوائية بل لجأ بعضهم إلى تسميتها بالبيئة "المرتبة" وليست "المنظمة"، وهناك أيضا تجمعات حديثة ظهرت نتيجة لهجرة الناس من بلدانهم إلى مناطق بعيدة عن تجمعاتهم الأصلية، وأوضح مثالا على ذلك هجرة الفلسطينيين كنتيجة لحروبي عامي 1948 و1967، والتي نتج عنها ظهور مناطق محددة على شكل مخيمات ومناطق أخرى عشوائية ليست لها محددات رسمية أو تنظيمية.

2-8-1-2 خصائص الأنسجة العشوائية .

في دراسة حول ظاهرة البناءات الفوضوية بكونو kono(نيجيريا) اعتبر " alain fries" أن هذه البناءات غير قانونية ويرجع أصلها إلى الحقوق الأولى التقليدية لامتلاك الأرض، أما ريشاراستيفن "richard steven" يرى أن الأحياء غير القانونية وغير الرسمية هي مناطق ينجز فيها السكان بناءات بمجهوداتهم الذاتية دون الاعتماد على مخطط أو الأخذ بعين الاعتبار عناصر تنظيم الحي الحضري والالتزام بقياسات ومواصفات المخطط والاعتراف بالمفاهيم الخاصة بالحدود، حدود تتعلق بالطرق، بالمدارس، بتنظيم تصريف المياه .....الخ .

وفى دراسة قام بها "مارشال كليفار" marchal clivard، أن الأحياء الفوضوية هي أنماط من البناءات لها خصائص معروفة عالمية فيها سكنات غير مناسبة مع المحيط و المخطط الحضري، وتفتقر إلى التجهيزات العامة وتمتاز باكتظاظ وازدحام كبيرين، كما أنها تحمل مجموعة من الأسماء والقيم التي تظهر في سلوكيات صلبة وخشنة ولا مبالاة وخمول وعزلة اجتماعية وتتصف بكل مظاهر التخلف والفقر، كما أن هذه الأحياء تعتبر مصدرا من مصادر الجريمة والسرقة والنهب . [32]

أن هندسة الأحياء العشوائية وشكلها والوظائف التي تقوم بها، تعبر جميعها عن الحاجات اليومية للسكان، رغم العوائق المفروضة من الفقر والبطالة .....الخ، ويمكن فهم ممارسات الحياة الاجتماعية من خلال تنظيم وتسيير مصالح السكان (توزيع الماء والكهرباء) والفضاءات الجماعية (كالطرق، الساحات العامة، أماكن التجمع، المسجد) كما أن هناك نظاما صارما في توزيع المجال على العموم خاصة فيما يتعلــق بحـــــدود

الطرق والتي تقدر على العموم ب 12 مترا على 4 أمتار، ومن العوامل التي نذكرها أيضا في هذا النوع من التعمير هو أن صاحب المبنى يقوم بانجاز مسكنه بطريقة تدريجية، بحيث كلما تحصل على دخل أكثر يوفر أكثر ويشترى على الفور مواد البناء ثم كلما يجمع مواد البناء اللازمة يشرع في انجاز جزء من السكن والشيء الذي يلفت الأنظار بالدرجة الأولى ويعتبر من أهم الأسباب التي أدت بكثير من سكان الحضر إلى البناء بطريقة فوضوية في أماكن شتى من المدينة، تعود إلى غياب سياسة تخطيط ونظام للعمران على مستوى المدينة والافتقار إلى القوانين التي تفسح المجال إلى العديد من سكان المدينة أن يستفيدوا من شراء قطعة أرض صالحة للبناء.

2-1-8-3 أسباب ظهور الأنسجة العشوائية.

لقد اتفق العلماء في تحديد الأسباب التي تتشارك فيها معظم المدن في العالم التي تعرف ظاهرة الأحياء العشوائية وهى كالآتي:

- ارتفاع نسبة الهجرة الريفية إلى المدن .
- الأزمة الحادة للسكن في المدينة .
- ارتفاع سعر الأراضي في المدينة .
- انعدام المراقبة التقنية للأنسجة العمرانية .
- انعدام وسائل التعمير والتخطيط الجديدة .
- انعدام التنمية الشاملة في المناطق الريفية .

وعلى حسب الفرضيات المقدمة في بداية البحث، نخص بالدراسة احد الأسباب الرئيسة لظهور الأحياء العشوائية وهو الهجرة الريفية نحو المدينة وذلك للدور الكبير الذي تؤديه الهجرة الريفية في نشأة هذا النمط من الأنسجة العمرانية .

2-1-8-3-1 الهجرة من الريف إلى المدينة: تعريف:

تعتبر الهجرة من الريف إلى المدينة أحد العوامل المؤثرة في توزيع السكان، شأنها في ذلك شأن النمو الديموغرافي لأن لها دورا أساسي في ارتفاع كثافة سكان الحضر، بحيث يعرف قاموس الديموغرافية الهجرة بأنها " حركة الفرد نتيجة تغير مكان إقامته " والهجرة في مفهومها العام يقصد بها انتقال الأشخاص من منطقة جغرافية إلى منطقة جغرافية أخرى بقصد الإقامة وهكذا كان الجغرافيون يتحدثون عن الهجرة مع أن

البعض منهم اهتم بالهجرة الداخلية ذلك لان ثمة نوعين من الهجرة، فالهجرة الخارجية أي من وطن معين إلى بلد أخر وهجرة داخلية أي التنقل المكاني داخل المجتمع الواحد.

وهناك تعريف إحصائي للهجرة، هو أن كل حركة عبر الحدود ماعدا حركات السياحة تدخل في إحصاءات الهجرة، وإذا كانت الحركة لمدة سنة فأكثر فتحسب كأنها هجرة دائمة وإذا كانت اقل من سنة فتحسب كأنها هجرة مؤقتة، والهجرة الداخلية التي يقوم بها أفراد الوطن إلى الجهات التي تتوفر فيها أسباب الكسب والرزق، وقد يكون ذلك لفقر بيئتهم المحلية أو لاكتظاظها السكاني وما يتبع ذلك من انخفاض في الأجور وتفشي البطالة، وفي الهجرة الداخلية ينتقل الشخص من مجتمع محلي إلى مجتمع محلي آخر مجتازا الحدود بين المجتمعين مع بقائه في داخل حدود الدولة، و تختلف الهجرة الداخلية عن الهجرة الخارجية من عدة نواحي، فالهجرة الداخلية اقل تكلفة بحكم أن الانتقال يكون لمسافات قصيرة فضلا عن أن مشاكل الخروج والدخول من دولة إلى أخرى لا تعترض المهاجر، هذا بالإضافة إلى عدم تعرض المهاجرين "هجرة داخلية" لمشكلة اللغة التي تواجه المهاجرين دوليا والتي تتطلب منهم استعدادا خاصا من الناحيتين النفسية والاجتماعية.و بالإضافة إلى أنواع الهجرة تنقسم الهجرة إلى أنماط مختلفة ويمكننا هنا أن نستعرض بعض أهم أنماط الهجرة .

2-1-8-3-1-1 أنماط الهجـــــرة.

يقترح "كنجزلي ديفيز" (DAVIS) خمسة أشكال بالنسبة للهجرة وهي:

أ- الغزو (Invasion) وفيه يدخل المهاجرون كغزاة فاتحين بقوة السلاح.

ب- العمل الإجباري (Inforces Labour) ومن أمثلة ذلك اسر الرقيق من إفريقيا وترحيلهم إلى العالم الجديد.

ج- الإزاحة (Déplacement) فيها يشرد السكان الأصليون ليحل محلهم سكان آخرون والمثال على ذلك : فلسطين.

د- الهجرة المقيدة: (Ristricted Migration) ومثال لها نظام النفي الذي كان سائدا في بعض البلدان (أثينا) في العصور القديمة.

هـــ- الهجرة الفردية (individuel migration) تتم عن طوعية وباختيار الفرد تحت تأثير دافع معين قد يكون اقتصاديا أو اجتماعيا أو ثقافيا.

2-1-3-8-1-2 الهجرة الداخلية (الهجرة إلى المدينة):

تمثل الهجرة من الريف إلى الحضر الجزء الأكبر من الهجرة إلى الداخلية وبرغم من قلة البيانات لهذا النمط من الهجرة إلا أن هناك بعض البلدان لديها بيانات كافية عن حركة الأفراد من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، وعلى أية حال فهناك دليل على حجم الحركات السكانية من الريف إلى الحضر تقومه بل وتؤيده إحصاءات نمو السكان في الحضر، وهي بيانات متاحة بالنسبة لبلدان عديدة، وحيث أن الزيادة الطبيعية في الحضر اقل منها في الريف، فان الزيادة الكبيرة في نسبة السكان الذين يقطنون المدن والتي حدثت في كثير من البلاد خلال النصف القرن الأخير أو أكثر تكون ناتجة عن الهجرة من الريف.

والمعروف أن المدن تنمو من ثلاثة مصادر وهي:

1- زيادة المواليد عن الوفيات.

2- الهجرة الداخلية من الريف إلى المدن.

3- الهجرة الخارجية.

وتحتل الهجرة وبخاصة الداخلية من القرية إلى المدينة مكانة بارزة في البعد الديموغرافي، لذلك فان الاهتمام بها أمر ضروري نظرا لما تمارسه في تأثير في النمط الحضري للمدينة. إن الهجرة الداخلية والتي هي في أغلب الأحيان الهجرة من الريف إلى المراكز الحضرية الكبرى فرضت ظاهرة ترييف المدينة وميعت الناحية الايكولوجية ونجم عن ذلك اختلال في التنمية الاقتصادية والكثير من المشكلات الاجتماعية والثقافية والنفسية، ولفهم أسباب نمو ظاهرة الهجرة الريفية لابد من التعرف على الدوافع الرئيسة وراء الهجرة الريفية.

2-1-3-8-1-3 دوافع الهجرة.

أوضح "إسحاق القطب" في كتابه "التحضر ونمو المدن في الدول العربية" أن الهجرة ليست دائما ظاهرة غير صحية وتحدث على العموم نتيجة من مجموعتين من القوى.

أ- القوى الطاردة من الأرياف: وتتمثل فيما يلي:

الأوضاع الاقتصادية الصعبة وظاهرة البطالة الناجمة عن التخلف الاقتصادي في استغلال الأرض وضعف قدرتها الإنتاجية كما أن عدم استخدام الأدوات المتطورة أدى إلى انخفاض في معدلات الإنتاج وهبوط مستويات المعيشة.

1- تحصل الخدمات في الريف على أجر منخفض.

2- ضعف الخدمات العامة والتعليم والرعاية الاجتماعية.

3- قلة فرص العمل غير الزراعة وغياب الأنشطة القادرة على استيعاب فائض العمل.

ب-القوى الجاذبة.

1- الارتفاع النسبي لمستويات الأجور في المناطق الحضرية.

2- توفر فرص العمل وتزايد الطلب على القوى العاملة في المدن كانعكاس لبرامج التنمية والتطور العمراني.

3- توفر الخدمات كفرص التعليم في المعاهد العليا والجامعات وتوفر الرعاية الاجتماعية والصحة والمستشفيات والعيادات الصحية.

4- المركزية الشديدة المميزة والتي تتمثل في مراكز الأسواق والبضائع والتجارة ووسائل الترفيه والوزارات والإدارات الحكومية.

5- المظاهر الحضرية والاجتماعية التي يتميز بها أهل المدن على أهل الريف.

إن البحث عن حياة أفضل والانتقال لسكان الريف نحو المدن أدى إلى إنشاء أحياء ومناطق عمرانية متخلفة مكتظة بالسكان تختلف عن الأحياء الأخرى بشكلها ومظهرها وأراضيها.

2-1-8-3-2 الأثر النفسي للأنسجة العشوائية على رفاهية الإنسان.

إن الأثر النفسي الذي تنتجه الأنسجة العشوائية وغير المنظمة على الإنسان مدمر بشكل كبير على كافة الأصعدة، وذلك لتغلل الفقر والجهل وغياب الوعي الثقافي والاجتماعي لدى السكان الذين يبحثون فقط عن مأوى وملجأ دون مراعاة العوامل الأخرى من أماكن الترفيه و الاستجمام، وبالتالي تكون حياة هؤلاء السكان خالية تماما من أي نوع من أنواع الرفاهية المحققة سواء على صعيد النسيج العمراني أو على صعيد العلاقات الاجتماعية داخل هذه التجمعات.

وفى هذا الإطار تصف الدكتورة "عزة كريم" أستاذة علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية المناطق العشوائية بأنها «قنبلة موقوتة» تشمل «جميع الأنماط السلبية والمتدنية في المجتمع أخلاقيا واجتماعياً وهي النماذج المحرومة من الرعاية ومن حقوقها في المأكل والمشرب والسكن والتعليم والصحة». [32]

وتعاني العشوائيات من نقص أو عدم وجود المرافق الأساسية والخدمات، ولذلك فهي تفرز العديد من المشكلات التي تؤرق المجتمع وتؤثر سلبياً على أمنه وأمانه ورفاهيته، وينتشر بين سكانها الفقر والبطالة والانحراف والجريمة والإدمان وغيرها من المشكلات وهى من الخصائص العامة لهذه المناطق.[32]

1-2-2 تعريف المدينة :

اختلف العلماء في إعطاء تعريف محدد وواضح للمدينة حيث اختلفت الاتجاهات والأيديولوجيات في إعطاء مفهوم شامل لتعريف المدينة كما عرف بعض الباحثين المدينة بتعاريف مختلفة طبقا للنظرة أو الاتجاه الذي ينظر منه الباحث إلى المدينة مثلا هناك من

-عرفت المدينة من الناحية السوسيولوجية الفنية البحتة على أنها "عبارة عن فكرة مجردة ولكن العناصر التي تتكون منها ،مثل الإقامة والبناءات الداخلية ووسائل المواصلات ...الخ. عبارة عن موجودات مشخصة لها طبائع مختلفة ولذلك فإن ما يجعل المدينة شيئا محددا هو ذلك التكامل الوظيفي لعناصرها المختلفة على هيئة وحدة كلية ومع ذلك لا يكون للمدينة وظيفة واحدة."

-كما عرفت المدينة أيضا وفقا للاصطلاحات القانونية. حيث أن أي مكان ما قد يطلق عليه اسم مدينة عن طريق إعلان أو وثيقة رسمية تصدر عن سلطة عليا .

- وعرفت أيضا المدينة من الناحية الإحصائية. كما هو عليه الحال في الولايات المتحدة الأمريكية. بحيث "يعتبر كل مكان به 2500 نسمة فأكثر فهو مدينة".

- ومن جهة أخرى عرف كل من "سوروكن" Sorken "وزيمرمات" المدينة على أساس ثمان خصائص أين يختلف العالم الحضري عن العالم الريفي. هذا التعريف يعتبر من أكثر التعاريف وضوحا في هذا المجال. بحيث كانت الخصائص الثمانية كالآتي:

1-المهنة 2-البيئة 3-حجم المجتمع المحلي 4-كثافة السكان 6- التمايز والتشريع الاجتماعيات 7- التنقل والحركة 8- نسق التفاعل "عدد وأنماط الاتصالات"، كما عرف العديد من المفكرين والفلاسفة المدينة ونذكر منها تعريف "**لويس ويرث**" حيث يقول" لويس ويرث Lwis wirth "إن العالم المعاصر لم يعد هذا العالم الذي يتكون من جماعات صغيرة منعزلة من الناس ينتشرون على رقعة واسعة من الأرض كما كان سُمر sumer يصف المجتمع البدائي، إن المظهر المميز لأسلوب حياة الإنسان في العصر الحديث هو تركزه في تجمعات هائلة تقام في مراكز محددة تعمل على إشعاع الأفكار و الممارسات التي تطلق عليه اسم المدينة .

إن التعريف السوسيولوجي للمدينة لابد أن يسعى لانتقاء العناصر الحضارية التي تميزها كأسلوب متميز لحياة الإنسان ولهذا فإن وصف المجتمع المحلي بناءا على الحجم

ليس صائبا. كما ينطبق ذلك أيضا على بعض المقاييس الأخرى مثلا عدد السكان والإمكانات الفيزيائية المتاحة والنظم وأشكال التنظيم السياسي إن أهمية هذه المقاييس ليس في وجودها في المدينة ولكن في قدرتها على توجيه وتعديل وصياغة طابع معين للحياة الاجتماعية في شكل حضري .

– حيث خلص "لويس وارث" إلى أن التعريف الحضري الذي يمكن استخدامه ليس هو التعريف الذي يركز على الخصائص أو المتغيرات المشتركة بين كل المدن بل هو التعريف الذي يمكن أن يكتشف اختلافاتهما .

إذا وعلى حسب "لويس وارث" يمكن تعريف المدينة للأغراض السوسيولوجية على أنها مكان دائم للإقامة يتميز نسبيا بالكبر والكثافة[31].

أما "روبرت بارك" (Robert Park) فيقول "أن المدينة ليست مجرد تجمعات من الناس مع ما يجعل حياتهم فيها أمرا ممكنا مثل الشوارع والمباني والكهرباء ووسائل المواصلات كما أنها ليست مجرد مجموعة من النظم والأدوات مثل المحاكم والمستشفيات والمدارس والشرطة وخدمات المدينة من أي نوع، إن المدينة فوق هذا كله تمثل اتجاها عقليا ومجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات المنظمة والعواطف المتصلة في هذه العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد.

كما يضيف "روبرت بارك" بأن المدينة ليست مجرد ميكانيزم فيزيائي أو بناء صنفه الإنسان وذلك لأنها منظمة في العمليات الحيوية التي تنظم الناس الذين يكونوها، بل أنها نتائج الطبيعة وذات طبيعة إنسانية على وجه الخصوص.

كما أن وسائل الانتقال أو الاتصال التي تعمل على الوصول إلى درجة كبيرة من التنقل وتعمل في نفس الوقت على تركيز اكبر للسكان الحضريين تعتبر من العوامل ذات الأهمية الكبرى في التنظيم الايكولوجي للمدينة، بحيث أن هذه الأخيرة ليست مع ذلك مجرد وحدة جغرافية أو ايكولوجية لأنها في نفس الوقت هي أيضا وحدة اقتصادية، والتنظيم الاقتصادي للمدينة يقوم على تقسيم العمل و يعزز هذا الرأي ويعتبر في نفس الوقت من الوجوه غير المفهومة في المدينة هذا التصاعد الواضح في المهن والحرف داخل نطاق السكان الحضريين.

ويمكننا أن نلخص فكرة (Robert Park) أن المدينة مكان إقامة طبيعي للإنسان المتمدن ولهذا السبب فإنها تعتبر منطقة ثقافية تتميز بنظامها الثقافي المتميز.أما "**جورج زيمل**" (George zimel) فلم يقدم تعريفا محددا للمدينة لكنه تعرض للمشاكل العميقة للحياة في المدينة والتي تنبع من مطلب الفرد إن يحافظ على استقلاله وفرديته ووجوده في وجه القوى الاجتماعية الهائلة وللتراث التاريخي والثقافة الخارجية وفي تكتيك الحياة، حيث أن الحرب التي كان يخوضها الإنسان البدائي ضد الطبيعة من اجل الحفاظ على وجوده الجدي قد وصلت في هذا الوقت إلى أخر تحولاتها بحيث حفز القرن الثامن عشر الإنسان ليحرر نفسه من كل الروابط التاريخية في الدولة أو الدين أو الأخلاقيات أو الاقتصاديات ذلك لان طبيعة الإنسان الخيرة والمشتركة بين الجميع يجب أن تنمو دون أن يعوقها عائق. أما القرن التاسع عشر إلى جانب مزيد من الحرية...الخ على مزيد من التخصص الوظيفي للإنسان في العمل لان هذا التخصص يجعل الأفراد لا يقارنون بعضهم ببعض في الوقت الذي لا يمكن الاستغناء عن أيهم ولكن هذا التخصص مع ذلك يجعل كل إنسان يعتمد مباشرة على أوجه النشاطات المكملة للآخرين.

ويمكننا هنا أن نلاحظ أن زميلا يحاول أن يبحث عن الأسس السيكولوجية التي تكمن وراء الطابع "المتروبولتي" للحياة حيث انه يدرس التوترات والعواطف ونوع الذكاء الذي يجب أن يتمتع به الأفراد الذين ينجحون في الحياة في مثل هذا النوع من المدن الكبرى كما انه يدرس في نفس الوقت التنظيم الاجتماعي في التعقيد الذي يؤدي إلى قيام الروابط والجماعات المتعددة التي تعتمد على تقسيم دقيق للعمل ويعتقد أن أهم خاصية في "المتروبوليس" هي امتدادها الوظيفي أبعد من حدودها الطبيعية[31]، وفى هذا الإطار دائما يعتبر "**ماكس فيبر**" من الأوائل الذين حاولوا وضع تعريف محدد لمدينة، حيث يقول "ماكس فيبر" أن هناك عنصرا واحداً مشتركاً بين التعريفات العديدة للمدينة، بحيث أنها تتكون من مجموعة أو أكثر من المساكن المتفرقة، لكنها نسبياً تعتبر مكانا إقامة مغلق، وعادة ما تبنى المنازل في المدن قريبة بعضها من بعض، فيكون الحائط لصيق الحائط .

– ومن جانب أخر فإن تعريف المدينة من الجانب الاقتصادي بأنها مكان إقامة يعيش السكان فيها أساساً على التبادل والتجارة أكثر مما يعيشون على الزراعة، حيث يركز "ماكس فيبر" في تحديد المدينة هو وجود سوق محلية تشكل جزءاً أساساً من حياة الناس اليومية ولهذا فإن المدينة عند "ماكس" هي عبارة عن سوق.

– كما يدعم أيضا تصور المدينة عن طريق استعراض الخصائص المتعددة التي ميزت المدينة تاريخياً، حيث يعتقد أنها كامنة في طبيعتها. فيركز من حيث فكرته الاقتصادية للمدينة على أنماط المنتج والمستهلك، ويربط بين نمو المدينة وبين الزراعة كما يعرض للمفهوم الإداري والسياسي للمدينة ذلك المفهوم الذي يمكن نتبعه تاريخياً حيث كانت تمثل مراكز السلطة أو أنها كانت مكان إقامة الحاكم أو الأمير الذي يمارس من خلالها سيطرته على بقية أملاكه التي تقع في الأراضي الزراعية و لذلك كانت المدينة مكان القلاع التي تمثل نقطة الدفاع الأولى عن الإقطاعيات القديمة.

وللتعمق أكثر في مفهوم المدينة لابد من التعرف على هذا المفهوم في الفكر الاجتماعي للإنسان عبر التاريخ، من اجل التعرف على أسلوب التفكير الذي عمل به الإنسان للوصول بالمدينة إلى أسمى معاني الرفاهية المنشودة.

2-2-2 المدينة في الفكر الاجتماعي.

اهتم المفكرون والفلاسفة عبر العصور بمفهوم المدينة منذ فجر التاريخ وحاولوا إعطاء "كل على حسبه" التصورات الفلسفية لمنظور المدينة من وجه النظر الخاصة لهم. حيث احتلت أهمية كبيرة في عقول الفلاسفة والمفكرين الاجتماعين الذين حاولوا فحص الدور وأهميته في العصور المختلفة من الحضارات الإنسانية. [30]

إن دراسة المدينة جاءت كتجسيد للمجتمع وليست قطاعاً منه ومجرد وحدة مورفولوجية ولقد عبر عن هذا التصور أغلب المفكرين الاجتماعين على مر العصور وحتى قيام الثورة الصناعية. ومن خلال تطرقنا لأراء الفلاسفة والمفكرين عبر التاريخ نستعرض كل من أراء1–أفلاطون (347–427ق.م)2–أرسطو(322–384ق.م)3–القديس أوغسطين" 354م، 430م" في القرون الوسطى وأيضاً أراء بعض الفلاسفة الإسلاميين نذكر منهم – أبو نصر الفارابي " 209هـ، 339هـ" وأيضاً ابن خلدون " 1332– 1406م " وصولاً إلى فلاسفة القرن الثامن عشر ومدن الثورة الصناعية نذكر منهم – فولتير– أدم سميث – فيشته.

1-2-2-2 فِكر أفلاطون حول المدينة "427-347ق.م".

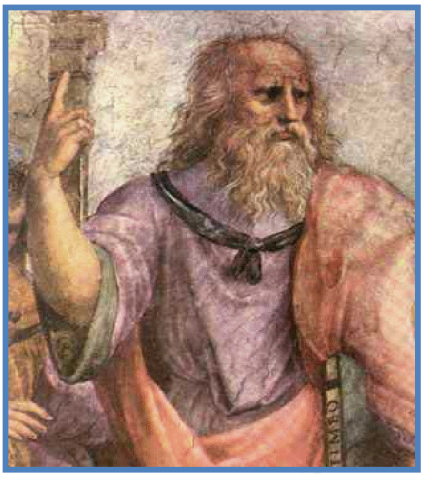

صورة رقم (II-09) أفلاطون
المصدر: Encarta 2010.

رأى أفلاطون أن الاستقرار المتكامل للمدينة هو الهدف الأعلى الذي يحافظ على الانسجام والتناسق بين السكان، فجعل المدينة شبه مستقرة خوفا من تعرضها للتغير والهزات الاجتماعية والحروب الأهلية لمدينة الفاضلة .حيث دعا إلى وضع التحديدات الصارمة ضد زيادة التل، كما أراد أن يتخلص من الاضطرابات الاقتصادية، فقام بتقسيم السكان إلى أصحاب الأصناف من المهن والحرف تقسيماً وراثياً مغلقاً وأرجع سبب القلق الاجتماعي إلى الروح المبدعة، الروح الشعرية.

كما أكد أفلاطون على ضرورة طرد الشعراء من جمهوريته بعد أن يتوجوا بأكاليل الفار، بحيث كانت جمهورية أفلاطون عبارة عن تصورات عقلية راكدة وساكنة بكل ما فيها من مساحة وسكان. (30)

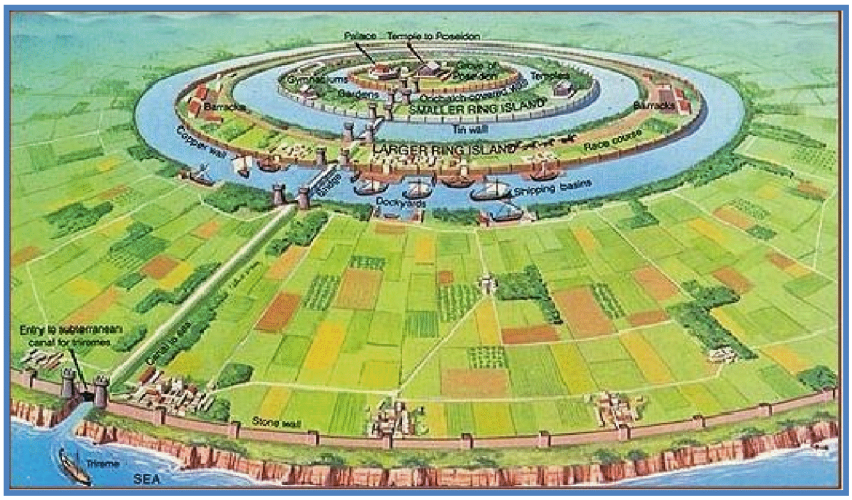

صورة رقم (II-10) المدينة المثالية عند أفلاطون أطلنطس
المصدر: Encarta 2010.

ويمكننا أن نخلص نظرة أفلاطون للمدينة على أنه قد ربط بين التغير والفوضى وانتقد بشدة قلق المدن الكبيرة التجارية مثل"أثينا" و"كوزنيت" وتأثر بشكل واضح من كثرة الاضطرابات والقلاقل والفتن بين سكان أثينا فاعتبر "أطلنطس" نموذجاً مثالياً للاستقرار

واقترح تجميد كل حركة في الأنظمة السياسية والاقتصادية والعقلية وفضل العودة إلى البناء التقليدي للمدينة الفاضلة اليونانية القديمة. كما أرجع أفلاطون كل تلك الاضطرابات إلى الزيادة السكانية والتغيرات التي تحدث في تركيبها وإتباع السياسة التوسعية ذات المظهرين الأساسين وهما: السيطرة على الأسواق والتجهيز.

2-2-2-2 فِكر أرسطو حول المدينة."384 ق.م – 322 ق.م".

قام أرسطو بوصف ثمانية وخمسين ومائة مدينة إغريقية وأجنبية، حيث كان يبحث عن كل واقع يقترب من الكمال في الكائن الحقيقي فيها، وحسب أسباب نهائية وكافية، خاصة التي تصحب الإنسان باعتباره كائناً سياسياً.

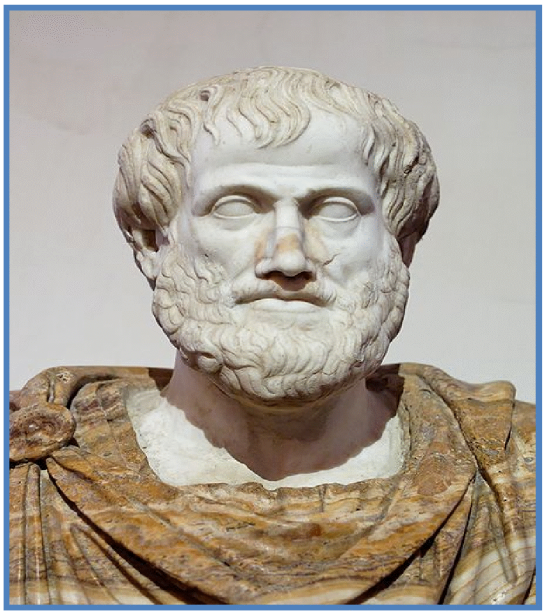

صورة رقم (II-11) أرسطو
المصدر: Encarta 2010.

ومن خلال دارسة أفلاطون للأنماط السلوك الفردية و الاجتماعية في المدينة حدد أربعة مظاهر للواقع الاجتماعي وهي:

1- التضامن أو الروح الاجتماعية.

2- التجمعات الخاصة.

3- الدولة، المجتمع الأكبر الذي يتوج كافة المجتمعات.

4- مجموعة القواعد الخاصة بالسلوك الاجتماعي والتي تحيط بالتقاليد والأعراف والتطبيقات والآداب الاجتماعية. والقانون والأخلاق وما يدعى بوسائل السيطرة الاجتماعية.

- ويمكننا القول أن "أفلاطون" و"أرسطو" وضع تصورهما للمدينة الفاضلة التي يستطيع أن يعمل فيها كل مواطن وفق القوانين ويكفل لنفسه فيها أكبر قدر من السعادة والرفاهية.

2-2-2-3 فِكر القديس أوغسطين حول المدينة " 354م – 430م".

صورة رقم (II-12) القديس أوغسطين
المصدر: Encarta 2010.

قام القديس أوغسطين بتقسيم النوع البشري إلى نوعين أو مجموعتين في كتابه الشهير (مدينة الله) مجموعة الذين ارتضوا حياة الدنيا فعاشوا في المدينة الدنيوية ومجموعة الذين ارتضوا أن يعيشوا وفق تعاليم الله في مدينة الله.كما يضيف القديس أنه يمكن تحقيق الخيرات الحقيقية القانون والنظام والسلام والرخاء، ولكن إذا تناسى سكان المدينة الأرضية الخيرات الطيبة التي تتمتع بها مدينة الله وطمعوا بتلك الخيرات واعتبروها الخيرات الوحيدة، حينئذ ومن الضروري أن يبرز الشقاء ويزداد البؤس.

ويضيف أيضا أنه إذا لم ينذر السكان ولاءهم وإخلاصهم الأول إلى مدينة الله فإن المدينة الأرضية تنقسم على نفسها فيكون كل قسم ضد الآخر.

ويمكننا تلخيص الفكرة الأساسية عند أوغسطين بأن " الله قد أختار الكنيسة لتكون رمزاً على الأرض " [30] ومن ثم أتبع الخطوط الأساسية في فكر أفلاطون.

2-2-2-4 فِكر أبو نصر الفارابي حول المدينة " 259هـ – 339هـ ".

صورة رقم (II-13) أبو نصر الفرابي
المصدر: Encarta 2010.

حاول أبو نصر الفارابي أن يضع الأسس التي يجب أن يقوم عليها المجتمع الفاضل وخصائص النفس البشرية في كتابه " أراء أهل المدينة الفاضلة"، حيث يقول الفارابي "لا يستطيع الإنسان أن يبقى وأن يبلغ أفضل كمالاته إلا في المجتمع".

والمجتمعات البشرية منها ما هو كامل ومنها ما هو غير كامل، والكامل منها ثلاثة العظمى المعمورة، والوسطى الأمة، والصغرى المدينة، وغير الكاملة هي: القرية والمحلة والسكة والمنزل، والخير الأفضل والكمال الأقصى ينال بالمدينة لا بالاجتماع الذي أنقص منها والمدينة الفاضلة تضاد المدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة. وقد وصف الفارابي الحاجة إلى الاجتماع السياسي في المدينة الفاضلة بمعنى أن الإنسان لا يستطيع فيها أن يحقق أهدافه منعزلاً ومستقلاً عن الآخرين.

2-2-2-5 فِكر ابن خلدون حول المدينة" 1332م- 1406م ".

صورة رقم (II-14) ابن خلدون
المصدر: Encarta 2010.

قام ابن خلدون بتناول المدن في دراسة الخط العام الدائري لميسرة المجتمعات البشرية، بحيث وضع المدن في مرحلة الحضارة بعد البداوة التي تقوم على العصبية والملك وهي غاية العصبية والحضارة عند ابن خلدون هي التفنن في الترف وأنها غاية العمران في مرحلة العيش الرغيد والفراغ ويقول أيضا "ابن خلدون" أنه في ظل هذه الحضارة ينصرف الحكام إلى جمع الثروات وبناء القصور والنصب التذكارية وفرض الضرائب لدفع الرواتب للجنود من أجل أن يؤثر في حلفائه ويخيف قلوب أعدائه. ويصف ابن خلدون أهل الحضر بأن منهم من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وأرقى من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم. (30)

ويمكننا أن نخلص فكرة أو نظرة "ابن خلدون" للمدينة من خلال تفسير نظريته في حركة المجتمعات البشرية ومسيرتها في الخط الدائري على أنها مبنية على مبدأ التميز بين البداوة وحضارة المدن والتي تشير إلى أهمية العوامل الاقتصادية بصراحة في حياة المجتمع المنظم في دولة العصور الوسطى حيث يعني ذلك ضرورة وجود موازنة لاقتصاد سليم في بناء المجتمع كشكل حضري وريفي وهذه الموازنة هي مفتاح الاستقرار السياسي وبالتالي المحافظة على الهوية والثقافة المحلية والنمو بمستوى الرفاهية للمدينة .

6-2-2-2 مفكرين القرن الـــ18 " فولتير، أدم سميث، فيشته ".

صورة رقم (II-15) فولتير

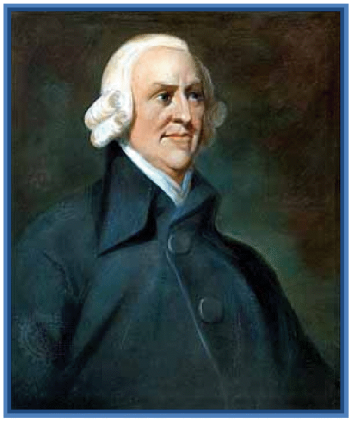

صورة رقم (II-16) ادم سميث

صورة رقم (II-17) فيشته

المصدر Encarta 2010

جاءت أفكار هؤلاء المفكرين في ثلاثة اتجاهات متباينة وهي

– المدينة الفاضلة – المدينة كرذيلة – المدينة بين الفضيلة والرذيلة.

أ – المدينة الفاضلة.

فهي مدينة تعكس احترام مجتمع المدينة لمواهب الفرد وممارسته في الحرية والتجارة والثقافة وفي هذه المدينة تبدو الفضيلة المتفاعلة مع التقدم الاجتماعي.

ب– المدينة كرذيلة.

فهو وصف لأثار نمو التصنع على النمو الحضري وتخلف الاقتصاد الريفي من ناحية وتحول النمط الديني إلى النمط القائم على الكشف العلمي. وبداية صور التناقض والصراع بين المصالح الذاتية المتبادلة بين الأثرياء من جانب وبين الفقراء من جانب أخر.

ج– المدينة بين الفضيلة والرذيلة.

حيث جاء هذا التصور على أن المدينة هي نتاج للحضارة العقلية وأنها تمتص الحياة من الريف

وفي الأخير وبعد عرض الفكر الإنساني الاجتماعي عبر التاريخ حول المدينة فقد تغير التصور بين المدينة والمجتمع إبان القرن ال18 فنظرا للتغيير الذي حل على المدن ذاتها إذ تضخمت أحجامها واتسعت مساحاتها بصورة لم تعرف من قبل ولم تعرف المدن هذه التبادلات نتيجة مجرد عوامل داخلية كالتغيرات السكانية بل نتيجة التغييـــر الـــذي

طرأ على الزراعة ودفع بأهل الريف إلى ترك قراهم للإقامة بالمدن لا سعيا وراء العمل ولكن دافعهم البحث عن شيء جديد يجدون فيه إنسانيتهم وذاتيتهم خصوصا بعد أن عرفت العصور الوسطى وعصر النهضة نظام المصانع الكبرى.

ومن خلال تعريف المدينة عند المفكرين والفلاسفة يتبين لنا الاختلاف والتنوع الشديد في التعاريف آنفة الذكر مما أدى إلى تنوع واختلاف المدن وبالتالي تنوع وظائفها .

2-2- 3 أنـــــواع المدن:

قام "جيمس و هاليرت" باستعمال تقسيم سداسي للمدن من حيث الأعمال التي تقوم بها المدينة وهي:

1- مدن صناعية 2- مدن تجارية 3- مدن سياسية 4-مدن ثقافية 5- مدن صحية ترويجية 6- مدن متعددة الأغراض.

ويعتبر هذا التقسيم تقسيما من حيث الوصف كما أنه لا يعبر عن الدقة لأن كل المدن تقريبا تعتبر متعددة الأغراض[32] .

- كما قسم "هاريس" المدن تسعة أنواع بناء على دراسته لأنواع العمل التي تقوم بها الأهالي في كل مدينة

1- مدن صناعية 2- مدن تجارية بالقطاعي 3- مدن تجارية بالجملة 4- مراكز للمواصلات 5- مدن إستخراجية (المناجم)6- مدن جامعية 7- مدن ترويجية 8- مدن سياسية 9- مدن متعددة الأغراض .

-ويربط "ممفورد" بين حال المدينة وبين القوى التراكمية التي بدأت تتضح فاعليتها مع قيام صورها المعاصرة مما يؤدي إلى تعميدها إذا ما استمرت تلك القوى أو العوامل على حالها بالانهيار والانحلال ومن هنا تقوم دورة للنمو الحضري حيث يرى "ممفورد" قيامها ويرتب مراحلها على النحو التالي:

1- مرحلة النشأة.

2- المدينة بالمعنى الصحيح .

3- المدينة الكبيرة .

4- المدينة العظمى .

5- المدينة الطاغية .6-المدينة المنهارة.

4-2-2 وظائف المدن:

تقوم المدينة بعدة وظائف تشمل كافة الجوانب الحياتية ولكن هناك بعض المدن التي تطغى فيها وظيفة على الوظائف الأخرى، نذكر منها الوظيفة الإدارية والوظيفة التجارية.

1-4-2-2 الوظيفة الإدارية.

تكون المدينة في هذه الحالة هي مقر السلطة العامة والتي لا يقتصر حكمها على المدينة وحدها بل تشمل المنطقة التي حولها أو يتسع إلى وحدة قومية أكبر، ولكي تفي تلبية المدينة بالحاجات الإدارية ،يجب أن تختلف تبعا لنمط الإدارة ويمكن أن نقول بصفة عامة إن وجود الحكومة المركزية وقواتها العسكرية والممثلين الأجانب المعتمدين لديها أو المتعاملين معها وعدد من الموظفين الإداريين والموظفين العموميين ورجال الأعمال كل أولئك يحدثون في المدينة طلبا، وعليها أن تواجهه بمختلف التقنيات، فتنشأ القوة الشرائية من الإنفاق العام ومن إنفاق الجماعات المتمثلة بالسلطات الإدارية في المدينة وهذه القوة الشرائية حين توجه أي السلع والخدمات الاجتماعية والمرافق الترفيهية وغيرها، إنما تساعد على تنمية المدينة كما يمكننا القول إن كفاءة المدن لا تقتصر على الجوانب الاقتصادية فحسب، ولكنها تمنح الفرصة لتراكم الأموال والخبرات واستثمارها في مجالات العلم والتعليم والفن والصحة...الخ، يضاف إلى هذا أنها ستتيح الفرصة للتعمق في مجالات التخصصية العميقة و تبادل الأفكار والمعارف والثقافات ولكن نمو المدن وكثرة الناس في مناطق سكنية بدرجات عالية من الكثافة السكانية، تثير من ناحية أخرى العديد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية مثل مشكلات الإسكان والجريمة والصحة والتفكك الاجتماعي واختلال المعايير والصراع وهكذا وبسبب هذه المشاكل التي تدفع إلى الابتكار والاختراع للتغلب على هذه المشاكل تدخل المدينة في حركة النمو الاقتصادي هذا ما يفسر الترابط الوثيق بين عجلة التحضر والنمو الاقتصادي في العديد من مجتمعات دول العالم[32].

2-4-2-2 الوظيفة التجارية.

المدينة مركز لتجمع السكان تؤدي وظيفة تجارية، بإتباع منتجات المنطقة الريفية لسكان المناطق الريفية الأخرى التي لا تنتج نفس المحصلات ،كما يعرض الصناع والمستوردون في أسواق المدينة سلعهم ويشترون السلع المحلية لتصديرها وتختلف

المؤسسات التجارية في المدينة مابين أسواق أسبوعية للخضر وبين المراكز المصرفية الحديثة فالتاجر البدائي يباشر بنفسه عمليات البيع والشراء والنقل والتمويل ولكن التجارة الحديثة قد كونت أخصائيين لشتى هذه الوظائف فأصبحت هناك تجارة جملة وتجارة تجزئة وأصبح هناك تجارة في الداخل وتجارة في الخارج وأسواق للنقد وشركات للتأمين وأخرى للنقل ومخازن ومصارف وبورصات وغرف تجارية وشركات تجارية وهكذا.

إن اختلاف أنواع المدن وتنوع وظائفها كان كالنتيجة طبيعية للآراء المختلفة والاتجاهات السياسية والفكرية المتنوعة ولكن هناك أنماطا أخرى من أنماط المدن تعرف بالمدن الإسلامية هذه الأخيرة تتشارك فيها معظم مدن الحضارة الإسلامية، إن هذا النمط لم يخضع لأفكار المنظرين أو للنظريات الحديثة التي ظهرت بعد الثورة الصناعية وإنما خضع لأسس الشريعة الإسلامية.

2-2-5 تخطيط المدن الإسلامية:

إن تخطيط المدن الإسلامية يخضع للقواعد الشرعية التي وردت في القرآن الكريم أو في السنة الشريفة أو ما أجمع عليه العلماء المسلمون بحيث تكون البداية من اختيار موقع المدينة وتحديد علاقاتها بما يحيط بها وهناك الكثير من المعايير الأساسية التي تؤخذ بعين الاعتبار عند اختيار موقع المدن وتخطيط موضعها حيث ذكر "ابن الربيع" شرطين أساسين هما: الماء وتحصين المدينة لضمان الأمن وقد ذكرها بالصيغة الآتية:(سعة المياه العذبة وأن يحيطها جسور يعين أهلها على تحصين منازلهم من الأعداء) إن توفر المياه في موقع التجمع السكاني المزمع إنشاؤه من أهم الخطوات في تكوين المدينة كما أنه يساعد على الاستقرار واستمرارية الحياة، بالإضافة إلى العامل الأمني الذي يضمن معيشة مستقرة وآمنة للسكان ولا يقل عن عامل المياه ونذكر مثالا على ذلك مدينة "بغداد" التي اختير موقعها لان كل من نهري "دجلة والفرات" يعتبران بمثابة خندق مائي يزيدها تحصينا، كما أن هناك عاملا ثالثا بالإضافة إلى عامل الماء وعامل الأمن هو عامل توفر المواد الغذائية، حيث يبرهن هذا العامل على أن المعطى الاقتصادي يعد من المؤثرات الأساس المعتمدة أيضا في تخطيط وإنشاء المدن الإسلامية،ويمكننا هنا أن نضيف إلى هذه العوامل الثلاثة عاملا آخر وهو شرط اعتدال المكان(وجود الهواء النقي مما يبرهن على أن العامل البيئي المرتبط بصحة الإنسان لم يتم إغفاله لأهمية التفاعل بين الإنسان وبيئته)

وفي هذا المجال يؤكد "القزويني" على الربط بين جودة الهواء والحالة النفسية للإنسان فيذكر في حديثه عن مدينة "الطائف" أنها طيبة الهواء شمالية ربما يجمد ماؤها في الشتاء ويذكر في حديثه عن مدينة صنعاء (اللحم يبقى بها أسبوعا لا يفسد) وهنا يؤكد على صحة هوائها، كما يذكر أيضا عن مدينة طليطلة (من طيب تربتها ولطافة هواؤها تبقى الغلات في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير) كما ذكر بان "أصفهان" طيب هوائها يؤدي إلى أن يبقى التفاح بها غَضًا لمدة سنة والحنطة لا تسوس واللحم لا يتغير[29]، ومن خلال ما سبق يمكننا أن نقول أن المناخ يعد من أهم المؤثرات المباشرة في تخطيط المدن الإسلامية وتصميم شوارعها وتحديد اتجاهاتها مما أدى إلى تشابه المدن الإسلامية في الأقاليم المختلفة، بحيث تكون متلاصقة المباني، متدرجة الشوارع من جراء وقوعها جلها في المناطق التي تمتاز بالحرارة الشديدة في فصل الصيف ومن خلال الشروط التي وضعها "ابن الربيع" نجد أن كلا من "ابن خلدون" و "ابن الأزرق" أضاف شرطا آخر حيث ذكر أن من أصول اختيار موقع المدن " طيب ومرعى السائمة وقربه إذا لا بد لذي قرار من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب، ومتى كان المرعى الضروري لها كذلك تسهل الحاجة إليه وهي ضرورية" [29] وهذا يعني أن المرعى الطيب وتوفر الحطب عنصران ضروريان للاستقرار وعمارة الأرض. وهكذا يمكننا القول أن هذه المواصفات والعوامل تمثل إنجازا بليغا للشروط التي وضعها المسلمون لمواقع المدن ومراعاة لثمانية شروط وهي كالأتي:

-الشرط الأول: أن يسوق إليها الماء العذب ليشرب ويسهل تناوله من غير تعب وهذا يعني أن تتوفر مصادر المياه العذبة ويكون من الممكن توصيله إلى المدينة بسهولة عن طريق التخطيط ومد شبكات قنوات المياه.

-الشرط الثاني: إنشاء شبكات طرقات متنوعة وضمان صيانتها باستمرار وهذا يعني الحرص على معايير واضحة لتقدير الشوارع لكي تتناسب مع حركة المرور وكثافتها.

-الشرط الثالث: بناء المسجد الجامع في وسطها أي وسط المدينة.

-الشرط الرابع: تقدير أسواق المدينة لينال أهلها حاجتهم عن قرب حيث شرع الأمويون في تخطيط الأسواق وتصنيفها وتوزيع بعض المرافق التجارية على مكونات المدينة.

-الشرط الخامس: تقسيم خططها بين القبائل، وهذا يعني أن التخطيط في المدينة تخطى البعد المادي ليشمل التخطيط الاجتماعي، فتجميع مجموعة من القبائل في موضع واحد يبرز نظرة الإسلام لتذويب التعصب القبلي بشكل متدرج.

-الشرط السادس: أن يجعل خواصه محيطة بها من كل الجهات، وهذا يعني أن الدفاع عن المدينة يبدأ من مواقع متقدمة .

-الشرط السابع: يتم إحاطة المدينة بصور متين يمنعها أو يحصنها، وهذا يعني أن يضمن تأمين الحاكم ورعيته.

-الشرط الثامن: أن ينقل إليها من أهل العلم والصناع بقدر حاجة سكانها حتى يكتفوا به ويستغنوا عن الخروج إلى غيره وهذا الشرط فيه دلالة واضحة على وجوب تعمير المدينة وضمان اقتصادها المحلي وتثقيف سكانها. [29]

كما أن مخطط المدينة الإسلامية يجب أن يشمل ويحترم خمسة عناصر أساس وهي كالآتي:

1- النهر الجاري. ويقصد به توفر عنصر الماء الذي يجب أن يكون عذبا ونقيا، فالماء عنصر يساعد على توفير الشرط الثاني المتمثل في الغذاء.

2- المحراث الطيب (المواد الغذائية). يقصد به توفر الغذاء.

3- المحطب القريب. ويقصد به توفير مصادر الطاقة من حطب وزيوت...الخ

4- الصور الحصين. ويقصد به تأمين الموقع وحماية الحاكم والرعية

5- السلطان إذا به صلاح حالها، وأمر سبلها وكفى جبابرتها. وهذا يعني توفر الحاكم العادل الضابط للنظام العام.

ويمكننا القول أن تبدل كيفيات تخطيط المدن حسب الظروف المحيطة حيث أنها كانت مرتبطة في البداية بأهداف عسكرية ثم تحولت بعد ذلك إلى مراكز لإدارة الأقاليم الواسعة وصولا إلى تخطيط جديد بعد أن استتب الأمن واستقرت الأمور.

6-2-2 بنية المدينة الإسلامية .

تختلف المدن الإسلامية وتتميز عن المدن الأخرى التي تنتمي إلى الحضارات المختلفة على المستوى الهيكلي ومستوى التنظيمي الداخلي الخاص والمجال المركزي حيث يتواجد المسجد الجامع والسوق ودار الإمارة، ولا شك أن الإسلام هو الذي إنشاء نوعا خاصا من

البنية الحضارية عن طرق مؤسساته من جهة وعادات إتباعه من ناحية أخرى حيث تكمن أصالة المدن الإسلامية وتميزها في العناصر المشكلة لها ولا في الكيفيات التي تنظم بها هذه العناصر، فقد لوحظ إنها تتبدل حسب الظروف التاريخية وحسب الجغرافيا وبمعنى أخر أي أنها تتبدل حسب الظروف (الزمان والمكان)، فان العناصر العمرانية الأساسية المهيكلة لبنية المدينة الإسلامية يمكننا تلخيصها فيما يلي :

1. النواة الأساسية:

تضم النواة المركزية الأساسية كل من المركز الديني والثقافي المتمثل في المسجد الجامع الذي كان في البداية يضم وظيفة المركز السياسي الإداري أيضا قبل أن ينفصل وحده في مؤسسة "دار الإمارة"، بالإضافة إلى أن كل الطرق الرئيسة والثانوية تؤدي إلى هذه النواة التي لها دور تجميعي وتوزيعي للمجالات والوظائف. كما هو الشأن في المدن الميزابية.

صورة رقم (II-18) منظر عام لمدينة غرداية القديمة
المصدر: Encarta 2010

صورة رقم (II-19) منظر عام لمدينة غرداية القديمة
المصدر: الباحث 2011

2. الدوائر المحيطة: تتوزع الخطط السكنية حسب توزيع قبلي محكم وترتبط فيما بينها من جهة ومع المركز والمرافق المختلفة من جهة أخرى بشبكة من الطرق الرئيسة والثانوية الملتحمة بها، ومع مرور الوقت ظهرت بعض المرافق الرئيسة كما هو الشأن في الحمامات التي تسمح للمسلم أن يتطهر قبل ذهابه إلى المسجد.

3. التحصين : تضم آليات الدفاع في المدينة الإسلامية سورا يحيط بها من جميع الجهات بحيث يكون مضاعفا في بعض الحالات ومتدرج السمك من الأعلى إلى الأسفل كما

دعمت بعض المدن الإسلامية بقلاع محصنة، وقد اهتم "الأمويون" على وجه الخصوص بإنشاء الحصون اللازمة لحماية ثغور الدولة الإسلامية من غارات الروم مستغلين في ذلك الحصون البيزنطية التي استولوا عليها.

2-2-7 بنية المدينة الإسلامية وعناصر الوحدة:

تتمثل أهم الملامح في مبادئ محددة للبنية العامة للمدينة والذي يعطيها مظهرها الخارجي ومميزاتها في بعض العناصر الأساس وهي كما يلي :

1- الترابط العضوي : يعكس التشكيل العام للمدينة الإسلامية مدى الترابط العضوي لعناصرها الأساس التي تشكل نسقا متجانسا ومترابط الأجزاء كما أنه يعبر عن وظائف المكونات العمرانية والمعمارية المختلفة للمدينة التي تتشكل من المباني المختلفة، وقد افرز الترابط العضوي نسيجا عمرانيا يعبر عن التلقائية الواضحة في التعبير والخيالية مما جعل المدينة تستمد جماليتها ورونقها من البساطة النابعة من البيئة والثقافة والبعد الاجتماعي.

صورة رقم (II-20) الترابط العضوي
المصدر : المدينة الإسلامية د. خلف الله بوجمعة ص117.

2- الانسجام والتناسب القياسي : تكون المكونات العمرانية والمعمارية للمدينة الإسلامية في حالة انسجام تام كما يوجد هناك تكامل بين النسق الكلي وبين أجزائه أو الأنساق الجزئية وفق متدرج محكم بين وحدات ثلاث هي المسكن، الوحدة الأولية الخلطة المشكلة من المساكن، الوحدة الثانوية والوحدة الكلية المشكلة من كل هذا مع المرافق، حيث يعتمد هذا التدرج المجالي على نظرة مرتبطة بالمقياس الإنساني ومدى شعور الإنسان بالفراغات والأحجام التي تشكل البنية الداخلية للمدينة والخطة والمسكن التي تشكل في النهاية المحيط العام الذي يعيش فيه الإنسان، حيث كان تصور الإنسان المسلم المسكن مع فراغ يسمى الفناء أو الحوش والخطة مع فراغ اسمه الرحبة وللمدينة مع فراغ اسمه القلب أو المركز الذي يقع فيه المسجد الجامع. هكذا تتنوع الفراغات وتنسجم قياساتها بشكل جيد مع التدرج الهرمي للمجالات المبنية والأحجام، محافظة بذلك على التناسب القياسي والانسجام التام لبنية المدينة، مما يبين أن المسلمين لم يتصوروا المدينة كمجرد تجميع بسيط من الشوارع والمباني بل ككيان يتكون من فراغات وأحجام تتوافق مع مقياس السكان وحاجاتهم.

3- تدرج الشوارع وتكامل الفراغات: تتأثر الشوارع في المدينة الإسلامية إلى حد كبير بالتكوينات المعمارية العامة، حيث أنها تخضع لتغيرات دقيقة تجعلها متناسبة مع حركة المرور وكثافتها حتى لا تضيق بهذه الحركة في مدة وجيزة وهكذا تتدرج الشوارع حسب الأهمية ووفق تدفقات الحركة في ترتيب منتظم يبين الرئيس والفرعي منها، وتنتظم الشوارع في تكامل واضح بحيث تكون هناك شوارع رئيسة تربط الخطط العمرانية والمعمارية الأساسية للمدينة وشوارع ثانوية تفصل بين المساكن بما يتناسب وحاجة الارتفاق وقد تؤدي إلى دروب وأزقة مفتوحة أو مغلقة كما هو واضح في مخطط "قصبة الجزائر".

وتقوم الشوارع الرئيسة بهيكلة توسع المدن الإسلامية وتكون حركتها كثيفة أما الشوارع الثانوية فهي تتوغل داخل الخطط وتكون اقل اتساعا لتليها الأزقة والدروب في تدرج واضح، بحيث احترم هذا التدرج بشكل جيد عند إنشاء المدن الإسلامية الأولى في بداية العهد الإسلامي كما هو الحال في مدن "واسط" و"بغداد".

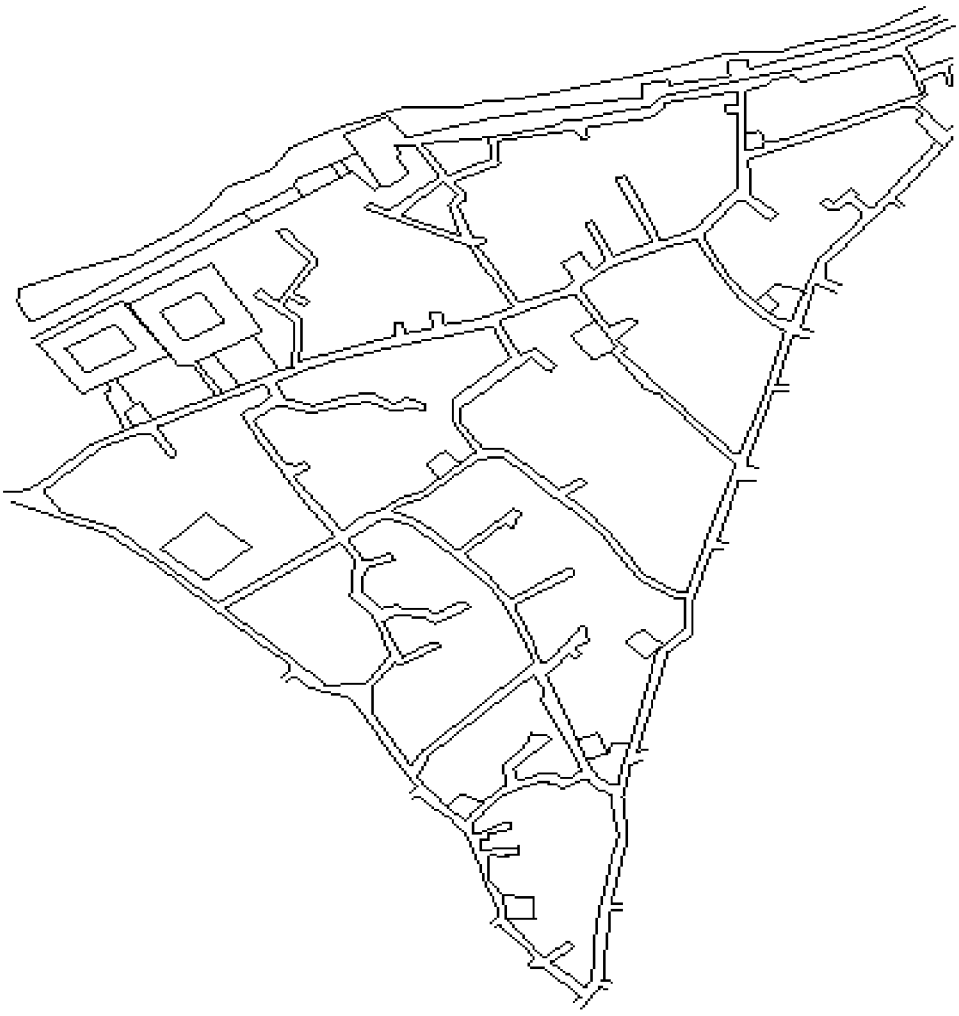

شكل رقم (II-11) التدرج في الشوارع – قصبة الجزائر
المصدر : المدينة الإسلامية د. خلف الله بوجمعة ص118 وبتصرف من الباحث 2011.

4- التدرج الوظيفي : تتدرج أهم الوظائف في المدينة الإسلامية من المركز إلى الإطار، فالمحيط وفق انسجام كامل بحيث يتكفل المركز بالوظيفة الدينية والسياسية والإدارية وهذا لتواجد المسجد الجامع ودار الإمارة...الخ، ويمثل هذا التكتل الهام القلب النابض المحرك لجميع الأجزاء الباقية في المدينة الإسلامية ومن ثم نجد سيطرة الوظيفة السكانية، أما في المحيط فنجد السوق والمحلات الصناعية والزراعية التي تختص بوظيفة العمل، بالإضافة إلى وظائف (الحكم، السكن، العمل) تقوم الشوارع بوظيفة الربط والاتصال كما هو موضح في الشكل (انظر الشكل رقم (II-12).

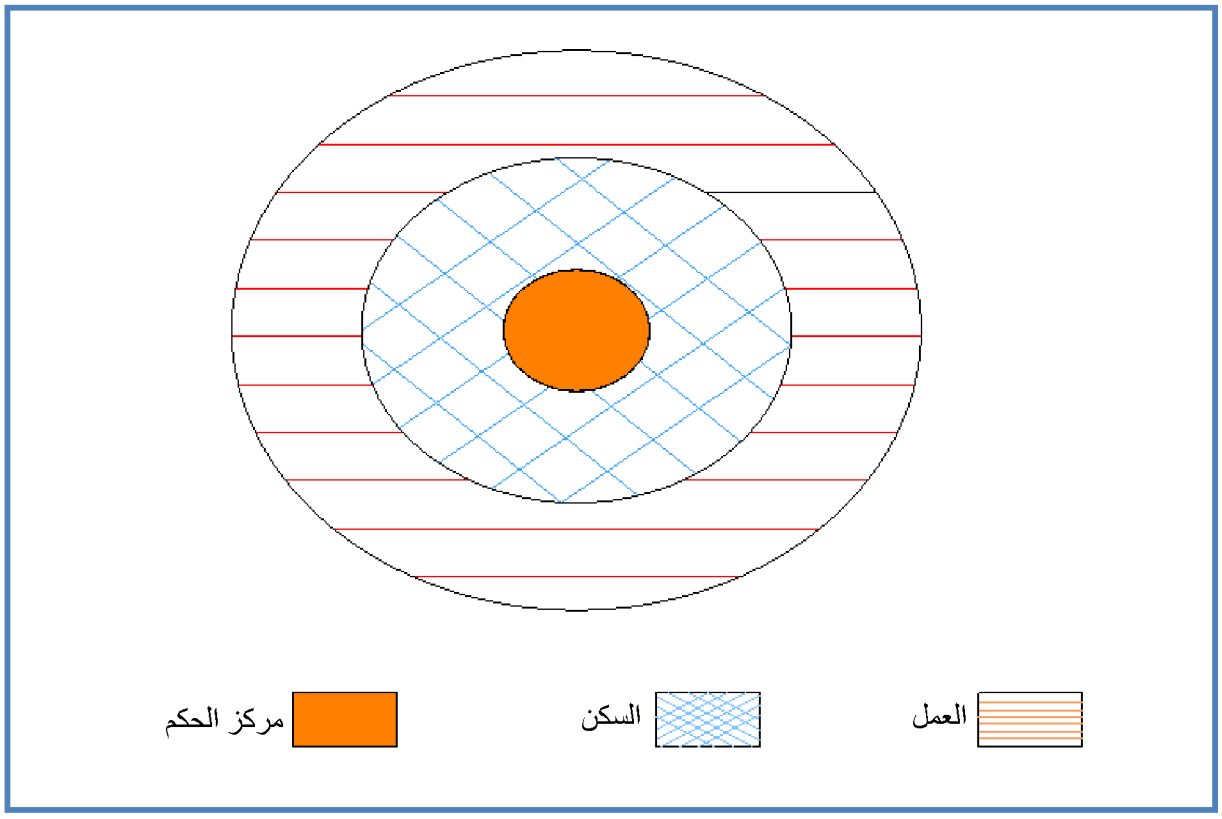

شكل رقم (II-12) التدرج الوظيفي
المصدر : المدينة الإسلامية، د. خلف الله بوجمعة ص119 وبتصرف من الباحث 2011.

ملاحظة: نلاحظ أن هذه الوظائف تتطابق إلى حد كبير مع الوظائف العمرانية التي حددها "ميثاق أثينا للعمران" الحديث والذي ظهر في النصف الأول من القرن الماضي إلى حد كبير ماعدا الوظيفة الترفيهية، حيث لم تكن هذه الأخيرة في بداية تكوين المدن الإسلامية من الأولويات، لكنها ظهرت فيما بعد وخاصة في "الشام والأندلس" وذلك بعد استقرار الدولة

5- انفتاح المجال السكني على الداخل: إن حرمة المنزل أو المسكن عند الإنسان المسلم وحفاظه وحرصه على حياة عائلته تجعل منه إنسانا يضع بصمات مميزة وظاهرة على المسكن الخاص به حيث يجعل منه فراغا حراما ينبغي تمييزه والحفاظ عليه، إن هذا المبدأ كان له الأثر البالغ في تصميم المجالات السكانية والتمييز فيها بوضوح بين الداخل والخارج بواسطة حدود وفواصل جلية تتمثل في الجدران التي لا تتوفر على شرفات

تنفتح على الفضاء الخارجي، وهي لا تنفتح على الأمام مثلما هو الحال في الواجهات الغربية وتم تقسيم المسكن بشكل يوحي بالاستدارة نحو الداخل وإدارة الظهر إلى المجال الخارجي في تجاهل تام له بوصفه مصدر إزعاج ومساس بمفهوم الحرمة هذا أدى إلى تكوين مجال مفتوح نحو السماء يكون جزءا من المسكن يسمى "الفناء أو الحوش" ليكون متنفسا له وملجأ من الحرارة المرتفعة في فصل الصيف كما تنفتح البيوت والغرف على هذا الفناء الذي لا يشترط له موضع معين من المسكن بحيث أنه يقع في الوسط كما هو الحال في "قصبة الجزائر" (انظر الشكل رقمII-21)، وتكون الفتحات الخارجية ما هي إلا منافذ صغيرة للتهوية ومرور الضوء ومع ذلك فهي تصمم بحيث تكون أعلى من خط النظر لكي لا تضطرب حرمة الداخل[29].

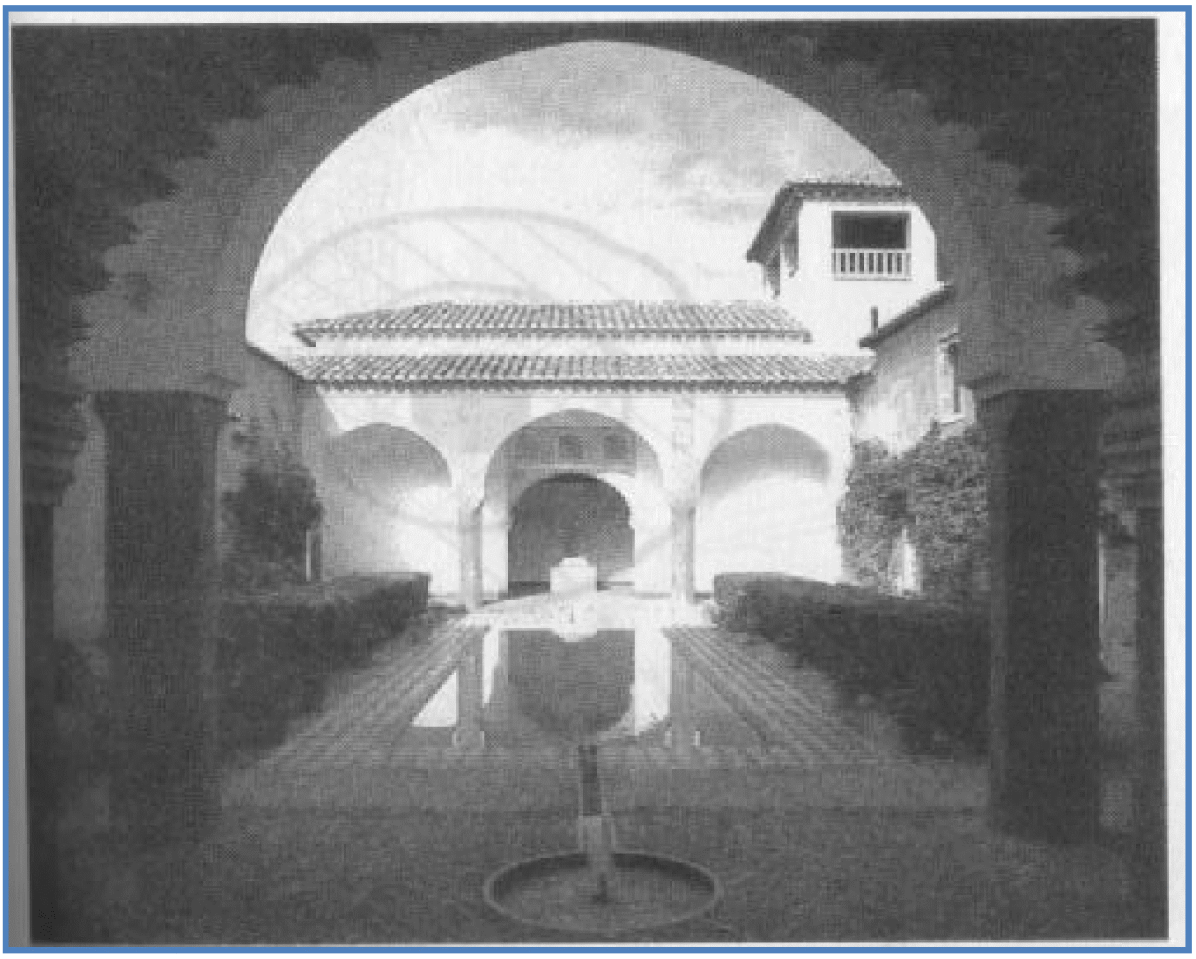

صورة رقم (II-21)الفناء في وسط القصر – قصبة الجزائر
المصدر : المدينة الإسلامية ، د. خلف الله بوجمعة ص120.

إن التجسيد الأولي للمدن الإسلامية في معظمها كان منطلقا من الواحات نظرا لوجود معظم تلك المدن ضمن المناطق الصحراوية، وهذا يتطلب منا التعمق أكثر في النمط العمراني الواحاتي للتعرف أكثر على النواة الأولى للعمراني الصحراوي منذ استقرار الإنسان في هذه المناطق.

2-2-8 الواحة:تعريف:

في التعريف الأولي للواحة لغويا: يمكننا أن نذكر أن "الواحة هي المكان الذي يمنح الراحة الفيزيائية والنفسية للإنسان في وسط محيط عدائي وقاس"د. علقمة جمال.

والتعريف الاصطلاحي يمكننا أن نذكر بعض التعريفات التي وردت في معاجم اللغة وهى:" الواحة هي قطعة الأرض التي تقع في وسط إقليمي جاف وتكون قابلة للزراعة"، "الواحة منطقة زراعية خصبة في إقليم جاف"، "الواحة مكان خاص بالمناطق الجافة وشبه الجافة حيث يمكن للكائنات الحية التكاثر بفضل النشاط الإنساني". ومن خلال هذه التعريفات نتبن أن الواحة مستوطنة بشرية وسط إقليم تصعب فيه الحياة سواء كان هذا الإقليم شديد الحرارة (الصحارى) أو شديد البرودة (الصحارى الباردة) وعلى حسب موضوع البحث نقوم بدراسة الواحات الواقعة ضمن إطار الصحارى الحارة.

2-2-8-1 الواحات الواقعة في المناطق الصحراوية:

تعتبر واحات الصحاري أول نقطة ونواة للتجمعات البشرية في الصحاري حيث استقر الإنسان حول منابع المياه في الصحراء مشكلا بذلك محطات للتزود والراحة للقوافل التجارية العابرة على سبيل المثال طريق الذهب الرابط بين شمال وجنوب إفريقيا وطريق الحرير في آسيا (واحات القوافل) حيث كانت تعتمد الواحة بالدرجة الأولى على زراعة النخيل هذه الأخيرة التي توفر للواحة الحماية من الظروف المناخية القاسية التي تحيط بها من ارتفاع درجة الحرارة والرياح الرملية ...الخ.

بالإضافة إلى الزراعة المعيشية مثل الأرز، القمح الشعير....الخ.

هذه الأخيرة التي كانت توفر لها القدرة على استمرار الحياة بجانب المياه، كما أنها تعتبر سلعة تبادل مع القوافل بأشياء أخرى كالعبيد والذهب ....الخ.

بالإضافة إلى ذلك اعتبرت واحات الصحاري كنقطة مرجعية ومعلمية لطرق القوافل الشاقة لقلب الصحراء ويمكننا أن نصنف نوعين من تلك الواحات وهي: الواحات الزراعية والواحات التجارية ومع مرور الزمن تطورت واحات الصحاري وذلك بارتفاع عدد سكانها ودخول تكنولوجيا جديدة عليها (تكنولوجيا أدوات الزراعة واستخراج المياه) وأصبحت تشكل في بعض المناطق من العالم أقطاب زراعية للتصدير كما هو الحال في واحات جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية، وفي بعض المناطق الأخرى في العالم اندثرت واختفت بشكل شبه كلي بسبب الارتفاع الكبير لعدد السكان وعزوفهم عن ممارسة النشاط الزراعي واتجاههم إلى ممارسة نشاطات أخرى بعيدة كل البعد عنه مثل الصناعة والتجارة والأعمال الإدارية مما أدى إلى ضياع الطابع الواحاتي عن هذه الواحات الصحراوية.

2-8-2-2 أنواع الواحات الواقعة في المناطق الصحراوية.

حيث يمكننا إعطاء تصنيف لواحات الصحاري وذلك على حساب موقع الواحة للصحراء حيث تنقسم واحات الصحاري إلى:

1 –الواحات الواقعة قرب المرتفعات.

2–الواحات الواقعة على ضفاف مجاري المياه.

3–الواحات الواقعة في المناطق المنعزلة.

1 – الواحات الواقعة قرب المرتفعات:

وهي تلك الواحات التي تقع على المرتفعات الصحراوية أو بالقرب منها متخذة شكل الحوض هذا الشكل الذي يساعدها في توفير نوع من الحماية من العوامل المناخية والغزاة كما يساعدها أيضا على استخراج المياه وسقي النخيل والمحاصيل الزراعية.

2 – الواحات الواقعة على ضفاف مجاري المياه:

هناك نوعان من أنهار الصحاري النهر السطحي والنهر الباطني:

أما النهر السطحي وهي الأنهار الجارية والدائمة التدفق

والنهر الباطني وهي أنهار تجري على أعماق صغيرة بحيث يسهل استخراج مياهها.

3- الواحات الواقعة في المناطق المنعزلة:

وهي تلك الواحات التي تقع في مناطق جد معزولة ونائية بحيث تتخذ الشكل المسطح طبقا لشكل الأرضية المقامة عليها ويكون اختيار هذه المناطق مبنيا على تواجد منابع المياه.

3-8-2-2 العناصر الأساسية المكونة للواحة:

تتكون الواحة من ثلاثة عناصر أساسية الماء، النخيل، النسيج العمراني:

1 – الماء: يعتبر الماء عنصرا أساسا في نشأة الواحة، حيث يكون الماء مصدره إما الأنهار السطحية والباطنية أو المياه الجوفية بحيث يتم سقي النخيل والمحاصيل الزراعية وسكان الواحة، وتستخرج هذه المياه بعدة تقنيات مختلفة وهذا على حساب متطلبات الموقع والوسائل المتوفرة وطبيعة المصادر (آبار البكرات الخشبية، الآبار الارتوازية، الفوقّارة).

2 – النخيل: يتراوح ارتفاع النخيل من 1 متر إلى ما يفوق 30 متر وذلك على حساب بيئة النخلة التي تنشأ فيها وينتمي النخيل إلى عائلة النخليات التي تضم أكثر من 3500 نوع وتكون في معظمها من مناطق مدارية وشبه مدارية ومن أشهر أنواع النخيل نذكر التالي: نخيل التمر Phoenix، نخيل الزيتElaeis ، نخيل جوز الهند Coco.

3- النسيج العمراني (الواحاتي):

يتميز النسيج العمراني داخل الواحة بعلاقته الكبيرة مع متطلبات ومستلزمات النخيل وهذا ما يميزه عن أنماط وأنواع الأنسجة العمرانية الأخرى وبعد أن تطرقنا إلى مكونات الواحة من نخيل وماء نتطرق الآن إلى النسيج العمراني وهو المكون الثالث من مكونات الواحة.

إنا النسيج العمراني الواحاتي تربطه علاقة قوية جدا بنخيل الواحة حيث يكادا ينسجمان ببعضهما البعض ويتكاملان موفرين بذلك جميع متطلبات الإنسان الحياتية ومحققين لعناصر الراحة الحرارية والحماية من الرطوبة والرياح الرملية داخل الواحة،ومجسدين بذلك طابع معماري وعمراني متميز و فيما يلي نقوم بدراسة علاقة النسيج العمراني بالنخيل.

صورة رقم (II-22) منظر عام لواحة بنى عباس.
المصدر: الباحث 2009.

4-8-2-2 علاقة النسيج العمراني الواحاتي بالنخيل:

يترابط النسيج العمراني مع النخيل في معظم الأحيان داخل إطارين كبيرين الإطار الأفقي والإطار العمودي.

1- **العلاقة الأفقية:** تكون العلاقة بين النسيج العمراني والنخيل ضمن الإطار الأفقي مقسمة إلى ثلاثة أقسام: التداخل، المجاورة، الانفصال.

أ. **التداخل:** وهي أن يكون النسيج العمراني محتوى كليا من جميع الجهات بالنخيل، هذا النوع من العلاقة ينقسم إلى قسمين: 1- الاحتواء، 2- الأحزمة.

1- الاحتواء: وهو أن يكون النسيج العمراني محاطا بالنخيل في جميع الاتجاهات ومن ايجابيات هذه الخاصية أنها توفر للنسيج العمراني الحماية القصوى من العوامل المناخية (كارتفاع درجة الحرارة، الرياح الرملية، الرطوبة النسبية) وذلك بفضل إحاطة النخيل بالنسيج من كل الاتجاهات ومن الجوانب السلبية أنها لا تترك المجال لتوسع النسيج إلا عن طريق قطع بعض النخيل المحاذي لأطراف النسيج العمراني والتوسع خارج النخيل، هذا النوع متبع في العديد من الواحات الصحراوية القديمة والصغيرة الحجم.

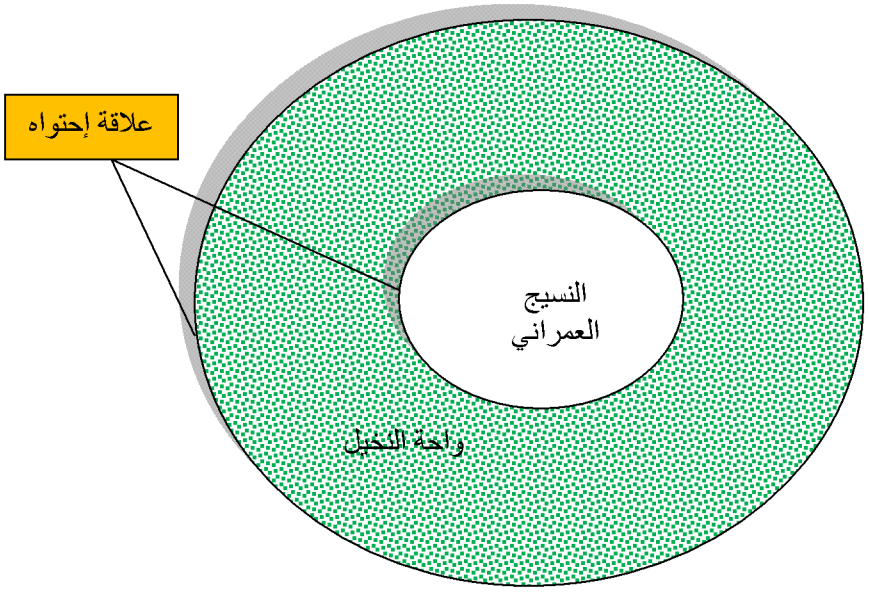

شكل رقم (II-13) رسم توضيحي يبين علاقة الاحتواء بين النسيج العمراني والواحة
المصدر، الباحث 2011.

2- الأحزمة: وهو أن يكون النخيل متخذ شكل أحزمة (حزامين أو أكثر) بجوار النسيج العمراني، هذا النمط ظهر نتيجة للتوسع نمط الاحتواء الذي سبق ذكره ويوفر هذا النمط من الواحات حماية مناخية شبه كاملة من العوامل المناخية ومن إيجابيات هذا النمط أنه يترك المجال للنسيج العمراني للتوسع دون أي عوائق تذكر.

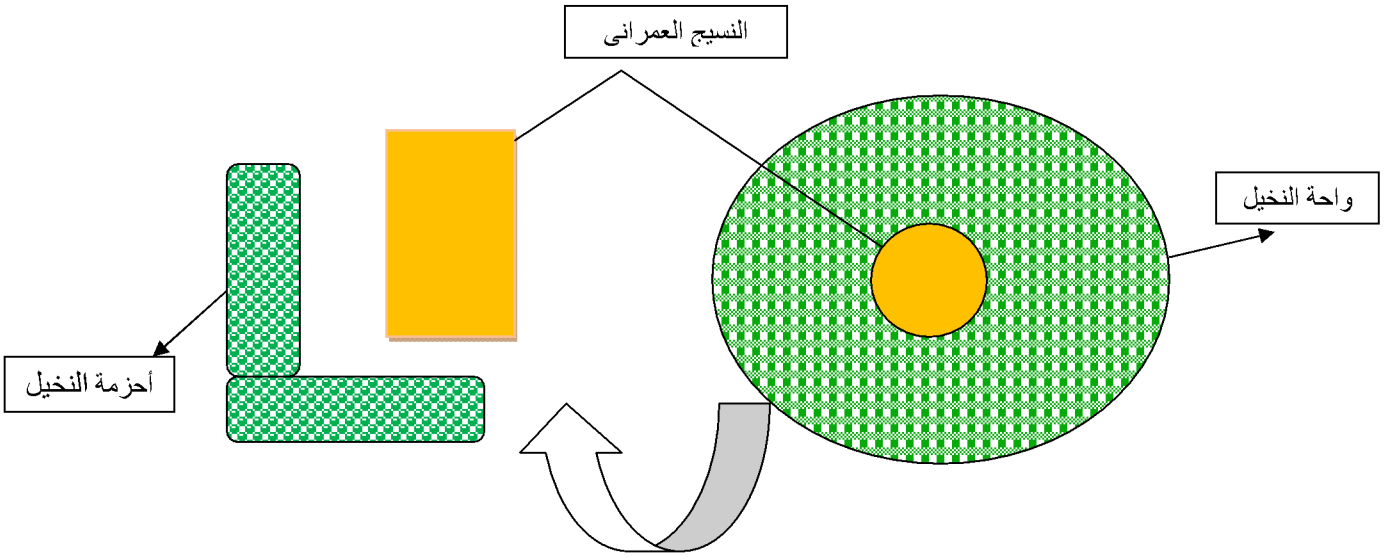

شكل رقم (II-14)رسم توضيحي يبين علاقة الأحزمة بين النخيل والنسيج العمراني
المصدر. الباحث 2011.

ب. المجاورة:

هذا النمط يكون فيه النخيل في وضعية مجاورة للنسيج العمراني بحيث يكون النسيج العمراني محاطا بالنخيل من جهة واحدة أو من أكثر من جهة وتكون جهة غير مجاورة للنخيل، وتكون الحماية المناخية في هذا النمط مرتبطة بالجهة التي يجاور بها النسيج العمراني للنخيل ويمكننا أن نذكر بعض أنواع التجاور وهي أن يكون النسيج العمراني محاطا بالنخيل من ثلاث جهات والجهة الرابعة موجهة إلى الصحراء أو أن يكون النسيج العمراني محاطا من جهة واحدة أو اثنتين والجهات الأخرى موجهة إلى الصحراء وغير محمية من العوامل المناخية.

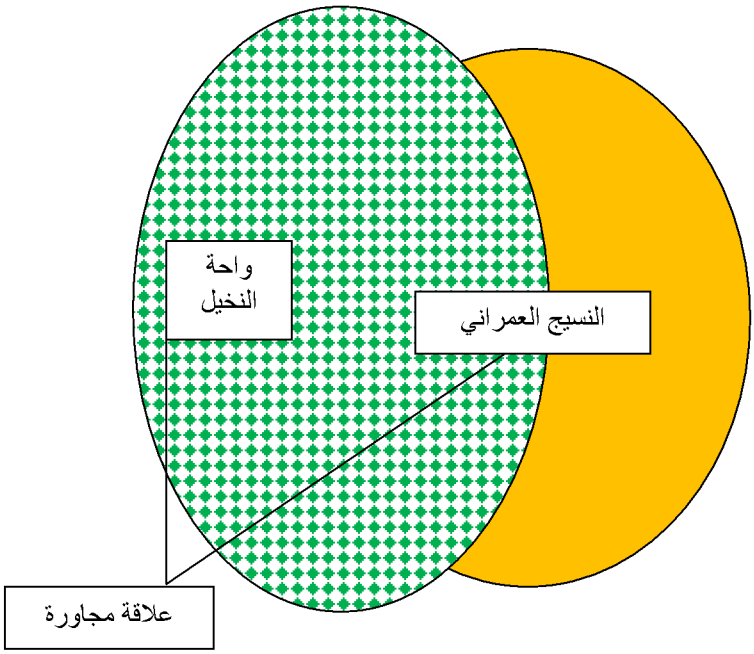

شكل رقم (II-15) رسم توضيحي يبين علاقة المجاورة بين النسيج العمراني وواحة النخيل
المصدر.الباحث 2011.

ج.الانفصال:

في هذه الحالة يكون النسيج العمراني منفصلا عن النخيل ولا يتجاور بأي جهة مع النخيل وتكون نسبة الحماية من العوامل المناخية ضعيفة جدا نظرا لبعدها عن النخيل ومن أنواع هذا النمط نذكر:

1- أن يكون النسيج العمراني منفصلا عن النخيل بمسافة محددة.

2- أن يكون النسيج العمراني في بداية الأمر مجاورا للنخيل ولكن بعد توسع النسيج تصبح منطقة التوسع بعيدة عنها، ونلاحظ أن هذه الحالة توجد في الواحات التي تعاني من الازدياد الكبير في عدد السكان واختلاف المهام.

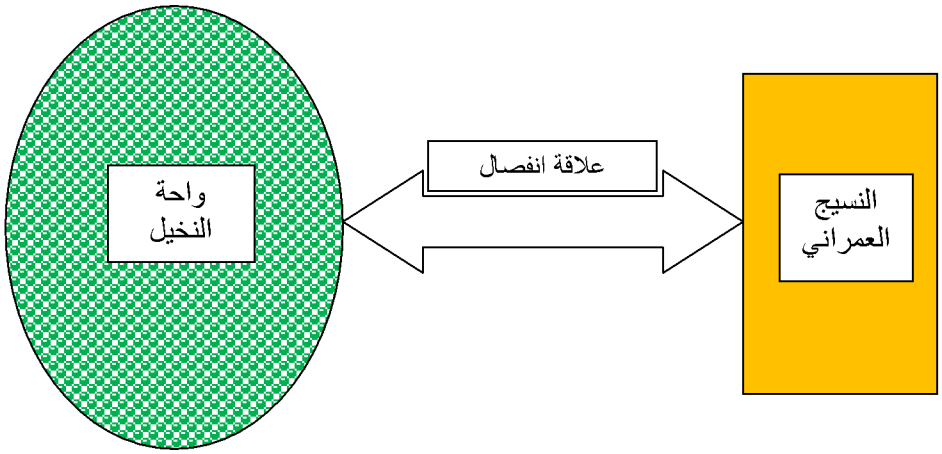

شكل رقم (II-16)رسم توضيحي يبين علاقة الانفصال بين النسيج العمراني وواحة النخيل
المصدر. الباحث 2011.

2. العلاقة العمودية:

ونقصد بالإطار العمودي هو وضعية النخيل بالنسبة للنسيج العمراني فإما أن يكون النخيل في مستوى واحد مع النسيج العمراني بمعنى آخر أن يكون النخيل والنسيج العمراني في أرضية مستوية وإما أن يكون النخيل والنسيج العمراني في مستويين مختلفين أي أن يكون النخيل فوق تلة أو ما شبه وأن يكون النسيج العمراني أسفل التلة والعكس صحيح، أما بالنسبة الحماية من العوامل المناخية فتكون الحماية في أفضل حالاتها في الوضعية الأولى (عندما النسيج العمراني والنخيل في مستوى واحد).

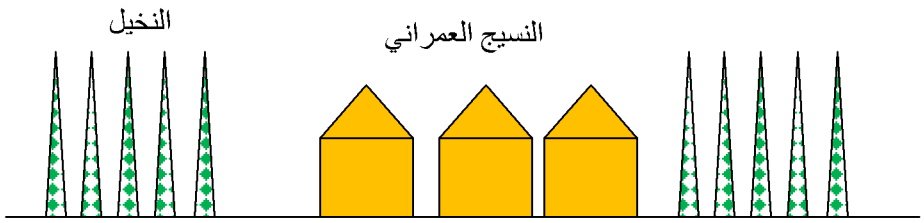

شكل رقم (II-17) رسم توضيحي يبين تموضع النخيل والنسيج العمراني في مستوى واحد.
المصدر، الباحث 2011.

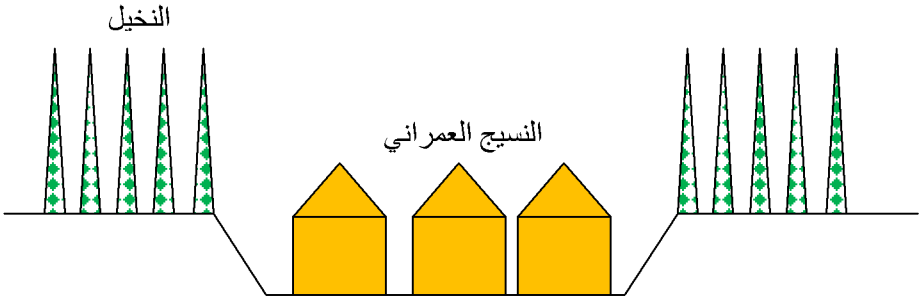

شكل رقم (II-18) رسم توضيحي يبين النسيج العمراني في مستوى منخفض عن مستوى النخيل.
المصدر. الباحث 2011.

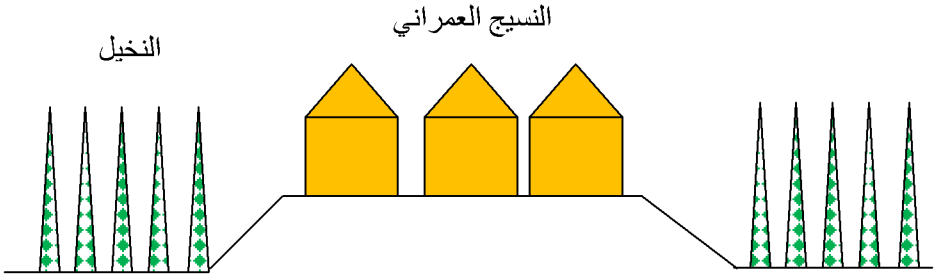

شكل رقم (II-19) رسم توضيحي يبين النسيج العمراني في مستوى مرتفع عن مستوى النخيل.
المصدر. الباحث 2011.

2-2-8-5 النمط الشكلي للنسيج العمراني للواحة:

يمكننا أن نميز نمطين لشكل النسيج العمراني في الواحات.

- النسيج الإشعاعي.- النسيج الشبكي.

أ- النسيج العمراني الإشعاعي:

هو النسيج الذي تكون فيه شبكة الطرقات تأخذ الشكل الإشعاعي المنطلق من مركز، هذه الشبكة الشعاعية تكون المهيكلة للنسيج العمراني داخل الواحة انطلاقا من المركز.

هذا النمط من شكل النسيج يكون منتشرا في الغالب في نمط النسيج المحتوي في النخيل.

ب- النسيج العمراني الشبكي:

هو النسيج المقسم بشبكة الطرقات مستطيلة أو مربعة وتكون منتظمة أو غير منتظمة وليست لديها مركز.

الخلاصة

يعتبر العمران المقاربة الإستشرافية لواقع المدينة. ويعتبر النمط العمراني صورة عن حضارة وثقافة الشعوب، وبالتالي فقد اتخذ العمران عبر التاريخ أشكالا عدة بداية من الأشكال العضوية وصولا إلى الأشكال الهندسية المنتظمة، ومع دخول العمران حقبة ما بعد الثورة الصناعية بدأ العمران في اتخاذ شكله ومفهومه وصولا إلى وقتنا الحالي، في هذه الحقبة بدأ العمران بالتشكل على حسب الأفكار التي طرحت من قبل المفكرين والمنظرين، حيث عرف المفكرون العمران انطلاقا من توجهاتهم وتياراتهم العمرانية المختلفة، ونتيجة إلى ذلك تنوعت المدن واختلفت و تكونت المدن الدفاعية والمدن الصناعية والمدن التجارية والمدن السياسية والثقافية .....الخ، ولكن ورغم هذا التنوع كان المبدأ الأساس للعمران الواحد في كافة مراحل تطوره و كافة تياراته الفكرية وهو تلبية حاجات المجتمع المختلفة، وانطلاقا من هذا المبدأ تعامل العمران مع الخصائص الجغرافية للمدن وثقافة وحضارة المجتمعات، محافظا بذلك على هوية وحضارة المجتمعات، وحاميا للأنسجة العمرانية من العوامل المناخية المختلفة .كذلك العمران في المدن الصحراوية فقد احتوى خصائص المنطقة الصحراوية وتجلى هذا في عمران المدن الإسلامية التي شملت في خصائصها خصائص المنطقة الحارة والجافة بالإضافة إلى خصائص المبادئ الإسلامية العريقة للعمران، حيث شكل عمران المدن الإسلامية نمط معظم المدن الصحراوية في القطر الجزائري، ووفر الحماية من العوامل المناخية المختلفة وحافظ على هوية وثقافة المجتمع المحلي عبر الأجيال.

الهوامش

27- الأستاذ دكتور صبري فارس الهيتي، 2009، التخطيط الحضري، الطبعة العربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ص 228-237.

28- دكتور خلف الله بوجمعة،2005، العمران والمدينة، المكتبة الوطنية دار الهدى والنشر عين مليلة، ص 12-85.

29- دكتور خلف الله بوجمعة، 2007، المدينة الإسلامية بين الوحدة والتنوع، المكتبة الوطنية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة، ص 106-120.

30- دكتور السيد حنفي عوض، 1997، سكان المدينة بين الزمان والمكان، جامعة الزقازيق، المكتب العلمي للكمبيوتر للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ص 51-56.

31- دكتور محمد عاطف غيث، 1995، علم الاجتماع الحضري، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص 189، 199.

32- دكتور غريب محمد سيد احمد، 2006، علم الاجتماع الحضري،جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص 127-131.

33- دكتور دليمي عبد الحميد، 2007، دراسة في العمران (السكن والإسكان) ، دار الهدى والنشر عين مليلة، ص 127-131.

34- دكتور نايف عتريسي، قواعد تخطيط المدن، دار الراتب الجامعية ، بيروت، ص 21-33.

35- فاروق.ع. حيدر، 1994، تخطيط المدن والقرى، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص88، 167.

36- Encarta 2010.